

## الفصل الأول

### التشابه والاختلاف بين الإنسان والميكروب

#### الأوبئة الميكروبية وعلم الإنسان:

يقول الله عز وجل: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ① مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ② ﴾ الفلق ١-٢.. وكان رسول الله ﷺ يبدأ يومه بهذا الدعاء (أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق وذراً وبرا).. وقد ندرك جزءاً من الحكمة النبوية من هذه الاستعاذة بالله من شر ما خلق الله تعالى ولو كنا لا نراه يقول الله تعالى: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ المدثر من الآية ٣١. قد انتشر في زماننا هذا الكثير من الأوبئة انتشاراً رهيباً حير العالم ومن أبرز تلك الأوبئة وأشهرها فتكاً المرض الفيروسي المسمى بالإيدز أو طاعون العصر الذى بسببه هلكت ملايين البشر من جميع أنحاء العالم، كما أن هناك مرض السارس ومرض جنون البقر ومرض إنفلونزا الطيور الذى لم يكذب يتعد شبحه عن الناس قليلاً حتى لاح لهم فى الأفق شبح آخر قد يكون أكثر فتكاً وهو ما يعرف باسم إنفلونزا الخنازير الذى ما يزال يهدد الدنيا بأسرها ويقض مضاجعها، ويُندرج بتحول هذا الوباء إلى كارثة عالمية.

كائنات دقيقة عجيبة تعجز البشر أليس فى ذلك إرغام لأنوف هؤلاء المغرورين علمياً- يقول الله عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ⑥ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ⑦ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ⑧ ﴾ الإنفطار ٦-٨.. يقول الله عز وجل: ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ③ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ④ ﴾ الرحمن ٣-٤.. ويقول أيضاً: ﴿ وَمَا أَوْتَيْنَاهُ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ⑤ ﴾ الإسراء ٨٥.. الذين ظنوا أنه لم يبق فى الدنيا شئ إلا وقد اكتشفوه أو اخترعوه أو توصلوا إلى حل له.. ولا يزال الله تعالى يظهر لهم من أنواع هذه العجائب فى خلقه وقدرته ما يحير عقولهم ويذهب بألبابهم ويطيّر قلوبهم.. يقول سبحانه وتعالى: ﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ⑩ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ⑪ ﴾ لقمان ١١.. وكان ثمة اعتقاد أنه مع ظهور فجر الألفية الثالثة سيتمكن العلماء من إعلان انتصارهم النهائى على الأمراض المنتقلة عن طريق العدوى.. لكن يبدو أن هذا الاعتقاد كان مجرد حلم سريع التبدد أمام جيش الميكروبات الذى لا يزال يفتك ببنى البشر.. فهل مازالت الميكروبات كثيرة العدد على رغم وقوف الإنسان فى وجهها بأبحاثه المستمرة وعقاقيره المختلفة.. أو هل غدت تلك

الميكروبات شديدة المقاومة إلى درجة أنها أنتجت لنا طفرات تنبئ بظهور جيل جديد منها أشد مقاومة للعقاقير المختلفة.. فالعديد من الأمراض الميكروبية الكبرى اختفت تقريباً من الدول المتقدمة. فلم يعد أحد يتحدث عن الدفتيريا ولا عن التيفود إلخ.. بل غدا العلماء يعرفون جيداً أنواع البكتيريا المنتشرة بين الناس، ولذا فقد أوجدوا لغالبيتها عقاقير ناجحة إلى درجة أنهم شعروا بأنهم أصبحوا مسيطرين كلياً على الموقف، علماً بأنه كانت هناك الكثير من الميكروبات التي ظلت تقف حجر عثرة أمام العلماء إلى يومنا هذا.. وعلى الرغم من ظهور أنواع جديدة من الأمراض البكتيرية والفيروسية وأشهرها بالطبع الإيدز، إلا أن ثمة أمراضاً مشهورة كالمalaria والحمى الصفراء لا تزال تفتك بالناس في المناطق الاستوائية.. ولو قصرنا الكلام على الدول المتقدمة. كان لزاماً علينا أن نتساءل عن السبب وراء الحديث عن الخطر الميكروبي فيها على الرغم من أنه أصبح أقل تواجداً من ذي قبل، فعلى سبيل المثال نلاحظ أن بعض الأمراض التي كانت تظهر بسبب بعض الميكروبات قد اختفت، إلا أن ثمة ميكروبات أخرى مقاومة للمضادات الحيوية ظهرت على رغم جميع محاولات العلماء للقضاء عليها.. فمع نهاية السبعينات كانت لا تزال هناك ميكروبات بالغة المقاومة للمضادات الحيوية. لكن الترسانة العلاجية كانت غنية نوعاً ما بالشكل الذي أدى إلى القضاء على أى مقاومة.

وحتى الآن غدت معظم اللقاحات والعقاقير المتوفرة قادرة تقريباً على القضاء على معظم الأمراض ولكن الطبيعة لا تحب- للأسف- أن تترك فراغاً في مكان ما، فاختفاء مرض ما لا بد أنه سترك الفرصة لغيره من الأمراض كي يحل مكانه.

ونقول: إن الإنسان بعلمه وقدرته وعقله يستطيع أن يتوصل إلى القضاء على تلك الأمراض عاجلاً أو آجلاً ولكن يجب علينا أن نقف ونقول: إنه عندما يتوصل إلى ذلك آجلاً فسوف يظهر الله مرضاً جديداً ليبيّن عجز الإنسان واحتياجه دائماً لله ولا نحتاج لأحد ليبيّن لنا الأدلة لأنها واضحة في هذه الأيام.

## الخصائص العامة للكائنات الحية

الإنسان والميكروب من الكائنات الحية وتشترك الكائنات الحية فيما بينها في خصائص ومميزات تختلف بها عن غيرها من المخلوقات الأخرى ويمكن تلخيص هذه الخصائص والمميزات في النقاط التالية:

١ - تعد الخلية هي الوحدة البنائية والوظيفية للكائن الحي، سواء أكان هذا الكائن خلية واحدة قائمة بذاتها مثل البكتيريا، أم على مستوى الأعضاء كالنباتات الراقية أم على مستوى الأجهزة مثل الحيوانات الراقية والإنسان.

- ٢ - تتركب الكائنات الحية من نفس عناصر الجماذ تقريباً، ولكن بنسب متفاوتة بالغة التنظيم والتعقيد، واتفقها بالحياة ناتج عن التنظيم الدقيق لهذه المركبات، والتي أودعها الخالق جلت قدرته فيها وهذا هو السر في الحياة الذى لن يصل أحد إلى كشف أعماقها.
- ٣ - تقوم الكائنات الحية بالتنفس، والتنفس ظاهرة حيوية يتم من خلالها إنتاج الطاقة اللازمة للمحافظة على الحرارة، وإتمام العمليات الحيوية المختلفة.
- ٤ - تمتلك الكائنات الحية القدرة على النمو، والنمو هو زيادة غير عكسية فى الحجم وهو المحصلة الموجبة لعملية الأيض (البناء والهدم) وعادة ما يكون النمو مصحوباً بتغيير فى الشكل والحجم.
- ٥ - تقوم الكائنات الحية بعملية الإخراج، وعملية الإخراج هى التخلص من الفضلات والمواد السامة الناتجة من تفاعلات التحولات الغذائية المختلفة إلى خارج جسم الكائن الحى.
- ٦ - قدرة الكائن الحى على الإحساس، والإحساس هو شعور الكائن الحى بالمؤثرات والمنبهات الخارجية المحيطة به ويصاحب هذه العملية قدرة الكائن الحى على الاستجابة أو الرد على هذه المؤثرات بما يتناسب سلباً أو إيجاباً.
- ٧ - قدرة الكائن الحى على التكيف مع البيئة المحيطة التى يوجد فيها لكى يحقق أقصى كفاءة لتبادل المادة والطاقة بينه وبينها ويتم التكيف بواسطة تغيير التركيب الخارجى أو الداخلى أو تغيير فى السلوك.
- ٨ - قدرة الكائن الحى على التكاثر وتكرار الذات، بحيث يستطيع إنتاج أفراد جديدة تحمل صفات مميزة للنوع بهدف البقاء والحفاظ على النوع.

## الميكروب وصفاته

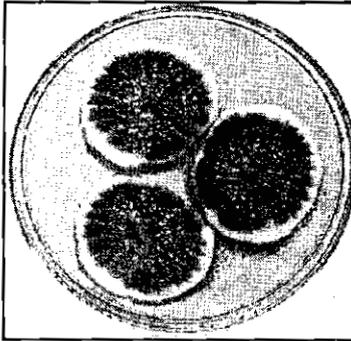
الأصل فى كلمة ميكروب أنها تعنى الحى الدقيق أو الصغير أو الذى لا يرى بالعين المجردة.. فهى تطلق على ألوف (على حد علمنا الآن) من الكائنات الحية الدقيقة التى تعيش بيننا عالقة بالهواء أو سابحة فى الماء أو فى أى سائل آخضر أو لاصقة بين حبيبات التربة أو على أجسام الكائنات الأخرى من نبات وحيوان وإنسان.. والميكروب فى علم الميكروبيولوجى (الأحياء الدقيقة) يعنى أى كائن حى لا يرى بالعين المجردة- ولكن يرى تحت الميكروسكوب (جهاز التكبير)- والميكروب عبارة عن خلية واحدة أو عدة خلايا تقوم بجميع الوظائف الحيوية من تغذية وتنفس وإخراج وحركة وإحساس وتكاثر مثل البكتيريا والفيروسات والفطريات والطفيليات الحيوانية.. ولكن هذا الميكروب ماذا يعنى بالنسبة

للإنسان.. فى ظل عصر المعلومات المقروءة والمسموعة والمرئية. إن الجسم البشرى يتكون من حوالى ١٠٠ تريليون (مليون مليون) خلية وكل خلية عبارة عن آلة معقدة لها نواة ومولد للطاقة (الميتوكوندريا) وعضيات أخرى كثيرة.. فالبكتيريا كمثال للكائنات الدقيقة هى أبسط من ذلك كثيرا فهى عبارة عن كائن حى وحيد الخلية أى يتكون من خلية واحدة وهى أبسط كثيراً من الخلية البشرية فمثلا لا يوجد بها نواة وحجمها ١٪ من حجم الخلية البشرية إذ يبلغ طولها حوالى ميكروميتر (الميكروميتر يساوى واحد على مليون من المتر) وعلى رغم ذلك فالبكتيريا كائن مستقل بذاته وهى بالنسبة للجسم البشرى مثل السمكة فى المحيط وتتكاثر عند وجود الظروف الملائمة بسرعة هائلة فخلية بكتيرية واحدة تنقسم إلى اثنان مرة كل ٢٠ إلى ٣٠ دقيقة والاثنان أربعة وهكذا وبحسبة بسيطة تصل إلى عدة ملايين فى ساعات قليلة.. أما الفيروسات فهى مجموعة من الجسيمات الصغيرة جداً، يزيد حجمها عن حجم الجزيئات، لكنها فى الوقت نفسه أصغر من حجم أى خلية حية.. والفيروسات لا ترى إلا بالمجهر الإلكتروني نى قوة التكبير العالية ويصل قطر بعض الفيروسات إلى حوالى ٩ نانوميتر- والنانوميتر هو جزء من عشرة آلاف من المليميتر (أحجام الفيروسات تتراوح بين ٩ - ٤٠ نانوميتر)- فهى ليست كائنا حيا مستقلا بذاته مثل البكتيريا.. بل إن بعض العلماء يعتبرون الفيروسات مرحلة بين الكائن الحى والجماد. فالفيروس عبارة عن جزء من حمض نووى (DNA) (الحامض النووى الريبوزى منزوع الأكسجين) أو (RNA) (الحامض النووى الريبوزى) محاط بغلاف بروتينى فقط لاغير. وعندما يلامس الفيروس خلية ما فإنه يلتصق بغلافها الخارجى ويحقن جزيئا (DNA) أو (RNA) داخلها ويقوم هذا الجزيء باستغلال موارد الخلية لإنتاج نسخ جديدة منه.. وأخيرا تنفجر الخلية الضحية وتموت وتخرج هذه الجزيئات مكونة فيروسات جديدة. وأحيانا تظل الخلية الضحية حية ولكنها تعانى حتى تخرج هذه الجزيئات منها. فالفيروسات تحتاج إلى خلايا حية تتطفل عليها ولا تستطيع أن تعيش بذاتها ولتصبح الخلية المستهدفة مصنعا لإنتاج فيروسات جديدة.. وللفيروسات أشكال متعددة وهى متخصصة للتطفل بدرجة عالية، حيث يهاجم كل نوع منها خلايا معينة فى كائن حى معين، وهى تصيب الخلايا الحية سواء كانت نباتية أم حيوانية أم خلايا البكتيريا. والفطريات كمثال آخر للميكروبات هى مخلوقات حية حقيقية النواة لا تحتوى على مادة اليخضور لذلك فهى غير ذاتية التغذية معظمها عديد الخلايا ومنها ما هو وحيد الخلية.. ويسمع الكثير من الناس عن الميكروبات ولكن لا يتوفر لديهم المعلومات الكافية عنها لكى يسخروها لخدمة أنفسهم أو لكى يتجنبوا ضررها.. وكثير من الناس يشاهدون الفطريات وهى موجودة على هيئة مستعمرات فى

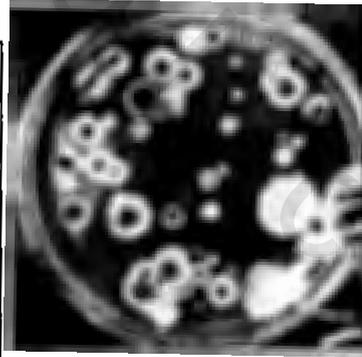
بيوتهم ومزارعهم ويطلقون عليها الأعفان فهي توجد على قطعة من الخبز أو الجبن أو على برتقالة تركت فترة من الوقت في الظل أو توجد على حبوب الذرة والقمح.. ويستدلون على وجود البكتيريا من رائحة وطعم الخضار الحامض.. ويسمعون الكثير عن الفيروسات من كثرة الأمراض الفيروسية مثل فيروسات الكبد والإيدز.. وأيضاً يسمعون عن الحيوانات الأولية مثل الإنتميبيا التي تسبب الأمراض المعوية وديدان الدم التي تسبب مرض البلهارسيا. والمفهوم العلمى الحديث عن الميكروب يتجلى فى كلمات الراحل (بيرل مان ١٩٧٨م) وهو يصف الميكروب بأنه: (خير صديق- لا يكذب أبداً- أعظم ماكينة خلقها الله- خير مثال للصبر والجلد والعطاء- لا يؤذى الإنسان إلا إذا فشل الأخير فى التعامل معه- يمكنه بناء أى مادة يريدتها الإنسان- خير معلم للإنسان).



فطريات موجودة على الذرة.



نمو فطرى.



نمو بكتيرى.

## اكتشاف الكائنات الحية الدقيقة (الميكروبات)

لقد تم اكتشاف الكائنات الحية الدقيقة وسوف يتم اكتشاف الكثير من تلك الكائنات وذلك بعد اختراع المجهر (الميكروسكوب) وذلك في القرن السابع عشر على أيدي «جانسن» Janssen و«مالبيجي» Malpighi و«هوك» Hooke وغيرهم.

أول من اكتشف الكائنات الحية الدقيقة وكشف النقاب عن هذه المخلوقات وبدأ يتعامل معها كان العالم «أنتون لويس هوك» الذي عاش في الفترة من عام ١٦٣٢ إلى ١٧٢٣ ميلادية في مدينة «دلفت الهولندية»، وكان يعمل بالتجارة وكانت هوايته الخاصة هي عمل العدسات والميكروسكوبات.. وكان ميكروسكوبه الخاص بسيطاً جداً حيث يتركب من عدسة محدبة موضوعة بين قطعتين من المعدن ومزودة بضوابط لتوضيح المنظر وباستخدام تلك العدسات لاحظ العالم «لويس هوك» وجود البكتيريا في مياه الأمطار بعد تخزينها في إناء لعدة أيام.. ووجد الملايين من الكائنات الأولية في فضلات الطعام الموجودة في الفم.. وفحص أيضاً المجارى المائية والبرك فوجدها غنية بتلك الكائنات.. وتقريباً كانت أول مشاهدته لتلك الكائنات في عام ١٦٧٦ ميلادية. ولكن لم يحالف هذا العالم الحظ في رؤية كل الكائنات الدقيقة مثل الفيروسات لأنه في ذلك الوقت لم يُخترع الميكروسكوب الإلكتروني ذو قوة التكبير العالية جداً.



العالم أنتون هوك أول مكتشف للكائنات الدقيقة.

## نشأة الكائنات الحية الدقيقة

الميكروب مثل الإنسان لا أحد يستطيع أن يخلقه إلا الله يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ النحل ٢٠، ويقول أيضاً: ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبًا مِثْلَ مَا سَمِعُوا لَهُ إِنْ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ، وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾ ﴿٧٣﴾ مَا فَكَّرُوا اللَّهَ حَقَّ فَكْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ الحج ٧٣ - ٧٤. فمهما

توصل الإنسان إلى أعلى درجة في العلم فلن يستطيع أن يخلق خلية حية من الجماد.. حتى عملية الاستنساخ التي تركت صدى عالياً عالمياً في الأوساط العلمية تعتمد على الخلايا الحية التي خلقها الله.

لذلك فمن الصعب جداً أن نقول: نشأة الكائنات الحية الدقيقة ولكن يلزم علينا أن نقول: خلق تلك الكائنات لأنها بكل تأكيد وإيمان أنها من خلق الله عز وجل ولكن ذلك لا يمنع أن نلقى الضوء على الاختلاف الذى نشأ حول وجود تلك الكائنات فلقد كان هناك مدرستان حول ذلك.. تقول الأولى: إن الكائنات الدقيقة نشأت ذاتياً نتيجة تحليل المواد العضوية.. بينما تقول الثانية: إن أى كائن حى ما هو إلا نسل كائن حى آخر مشابه له.. وهناك تجربة قام بها العالم «ندهام» فى عام ١٧٤٨م تثبت أن البكتيريا نشأت ذاتياً حيث وضع «ندهام» مرق لحم مغلياً فى دورق أحكم قفله بالفلين وقام بفحص عينات من المرق على فترات متقطعة حيث لاحظ وجود البكتيريا بأعداد كبيرة وكان برهانه على نشوء البكتيريا ذاتياً أنه قام بغلى المرق مما ترتب عليه قتل جميع صور الحياة التى كانت موجودة بالمرق من قبل.. وفى عام ١٧٦٥م قام العالم «أسبالنزي» بإجراء بعض التحويلات على تجربة «ندهام» فبدلاً من قفل الدورق بالفلين استعاض عن ذلك بقفل فوهته قفلاً محكماً باللهب قبيل غلى محتوياته ووجد أنه لو أطال مدة الغليان فإن ذلك سينتج عنه عدم ظهور البكتيريا فيظل المرق رائقاً لو فُحص بالعين المجردة.. كما أظهر الفحص المجهرى لعينات منه عدم وجود أية علامة من علامات الحياة وتعليقاً على تجربة «ندهام» فإنه من المحتمل ألا يكون قد قام بغلى المرق المستعمل فى تجربته وقتاً طويلاً يكفى لقتل البكتيريا، وأيضاً احتمال أن يكون الفلين منقذاً للبكتيريا.

وعملية الجدل حول التوالد الذاتى مهمة لأسباب عديدة: أنه من الضرورى قبل دراسة الكائنات الدقيقة على أساس علمى إثبات أن تلك الكائنات نشأت طبقاً لعمليات منظمة وليس نتيجة تغيرات بيئية غير محكمة وبعد ذلك يمكن دراسة صفات تلك الكائنات ومقارنتها بغيرها من الكائنات الأخرى وإثبات أن كل كائن دقيق شبيه تماماً بسلفه.

## الإنسان وصفاته

الإنسان كائن حي يقوم بجميع وظائف الحياة من إخراج وتنفس وتكاثر وإحساس وحركة الخ... وقد كرمه الله عز وجل وفضله على كثير من الخلق ويتصف الإنسان بعدة صفات واضحة في كتاب الله عز وجل.. ولقد ركزت على صفات معينة تدل على علو وتكبير الإنسان.. يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَاءَهُ فَلَمَّا نَجَّكُمُ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾ الإسراء ٦٧، يقول الله: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ ﴿٦٨﴾ أَنْ رَأَاهُ اسْتَفْتَى ﴿٦٩﴾ الْعَلَقَ ٦-٧، يقول الله: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾﴾ الكهف ٥٤، يقول الله: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ الأحزاب ٧٢، يقول الله: ﴿أَوْلَقِرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴿٧٧﴾﴾ يس ٧٧، يقول الله: ﴿وَبَدَعَ الْإِنْسَانَ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴿١١﴾﴾ الإسراء ١١، يقول الله: ﴿وَلَيْنَ أَدْعَاكُمُ الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَكَيْفُوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾﴾ هود ٩.. وانظر أيضاً إلى تلك الآيات.. يقول الله: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ النساء ٢٨، يقول الله: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زِينٌ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ يونس ١٢، يقول الله: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنَّا نَسَى مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلٍ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴿٨﴾﴾ الزمر ٨.. وانظر إلى عظمة وشدة الكفر من الإنسان، يقول الله: ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا نُسُومًا إِذَا خَوَّلَتْهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾﴾ الزمر ٤٩، يقول الله: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَسَا بِنِعْمَتِنَا وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾﴾ فصلت ٥١، يقول الله: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَامَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَامَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾﴾ المعارج ١٩-٢١. هذه الآيات لا تحتاج إلى تفسير فهي تبين صفات الإنسان وهي الواقع الذي نعيش فيه ونلمسه بين أيدينا وفي أنفسنا.

## التركيب الكيميائي للإنسان والميكروب

أساس التركيب بين الإنسان والميكروب واحد وهو الماء.. يقول سبحانه وتعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتْ رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾ الأنبياء ٣٠.. يقول الله عز وجل في محكم كتابه: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنَيْهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾﴾ النور ٤٥.. والدابة ما هي إلا كل ما يدب على الأرض من إنسان وحيوان وميكروب وخلق آخر لا يعلمه إلا الله.. ويقول الله عز وجل: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾﴾ لقمان ١٠، ويقول جل شأنه: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا سُلَّامًا مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ﴿٨﴾﴾ السجدة ٨... نعم كل مخلوق حتى يدب على الأرض خلقه الله من ماء وفي هذا الصدد نورد الإحصاء الآتي ليتبين لنا محتوى بعض أعضاء جسم الإنسان من الماء فيشكل الماء ٩٠٪ من مخ الإنسان و٧٠٪ من مكونات القلب و٨٦٪ من الرئتين والكبد و٨٣٪ من الكليتين و٧٥٪ من عضلات الجسم المختلفة و٨٣٪ من الدم... ويكون الماء حوالى ٦٠-٩٥٪ من مجمل أجسام الأحياء الراقية كالحيوانات والنباتات والإنسان، كما يكون حوالى ٩٠٪ من أجسام الكائنات الحية الدقيقة مثل البكتيريا والفطريات والطحالب.

وسبحان الله العظيم الحكيم الذى أفرد للماء من دون سائر مخلوقاته مكانة عظيمة ودورا كبيرا، فقبل الخلق أى خلق، وقبل السموات والأرض كان هناك الماء حيث يقول عز من قائل: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوكُمْ بِآيَاتِكُمْ أَحْسَنَ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتُمْ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِسْحَارٌ مِمَّنْ ﴿٧﴾﴾ هود ٧، وعندما أراد الله أن يخلق خلقاً على الأرض جعل الماء سبباً فى حياتهم، ثم إذا أراد الله بقدرته وحكمته وفى الوقت الذى يريده أن ينهى الحياة على الأرض- إيداناً بحلول يوم القيامة- نزع منها الماء مصداقاً لقوله عز وجل: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾﴾ التكوير ٦، أى اشتعلت وتحول الماء نارا، ونضبت معطيات ومقومات الحياة على الأرض، ليس ذلك فحسب بل سينعم المؤمنون بالماء ويعذب المعدبون فى النار أيضاً بالماء حيث يبين الله عز وجل لنا أن أصحاب الجنة لهم فيها أنهار من الماء الدائم الصالح للشرب.. يقول الله عز وجل: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ

وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَن هُوَ خَلِيدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴿١٥﴾ محمد  
 ١٥، ويقول الله عن شراب أهل النار: ﴿ وَذَرِ الَّذِينَ أَخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَعَرَضَهُمْ  
 الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَذَكَرَ بِهِمْ أَنْ تَبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا  
 شَفِيعٌ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلُّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ  
 مِّن حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ الأنعام ٧٠، ويقص الحكيم العليم عن  
 حال أهل النار مع أهل الجنة بأنهم يطلبون الماء من أهل الجنة فيقول: ﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ  
 النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَمَهُمَا  
 عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ الأعراف ٥٠.. يقول الله تعالى في محكم التنزيل وهو أصدق القائلين:  
 ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ  
 لَقَائِدٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَبَى السَّرَائِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾ الطارق ٥-١٠.. ويقول أيضاً  
 جل شأنه: ﴿ أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَلَائِكَةٌ ﴿٧١﴾  
 يس ٧١.. والمقصود بالماء الدافق هنا هو منى الإنسان لكونه مكوناً في معظمه من الماء حيث يمثل  
 الماء منه حوالى ٩٠٪ والباقي عبارة عن الحيوانات المنوية التى لا تمثل إلا نسبة ضئيلة من هذا  
 الماء التى تتراوح بين ١ إلى ٥٪ فقط من مكونات الماء المنوى للإنسان أما باقى المكونات الأخرى  
 فتمثل حوالى ١-١٠٪ منه.. هذه المكونات هى :-

الفوسفات (٠,٠٩ ملجم/ مللى) وأملاح السترات (٨,١٣ ملجم/ مللى) والبيوتاسيوم (١,٧٥  
 ملجم/ مللى) والجلوكوز (١,٠٢ ملجم/ مللى) والفركتوز (٢,٧٢ ملجم/ مللى) وحامض اللاكتيك  
 (٠,٦٢ ملجم/ مللى) واليوريا (٠,٤٥ ملجم/ مللى) وبروتينات (٥,٠٠ جم/ مللى) وكالسيوم  
 (١,٠١ ملجم/ مللى) وماغنسيوم (٠,٩٢ ملجم/ مللى) وزنك (٠,٣٤ ملجم/ مللى). وسبحان الله  
 أن التركيب الكيميائى للميكروب لا يخرج عن تلك المكونات.

## وظيفة الإنسان والميكروب

وظيفة الإنسان العظيم واضحة فى قول الله عز وجل: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا  
 لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطِيعُونِ ﴿٥٧﴾ الذاريات ٥٦-٥٧.. وأيضاً  
 وظيفة الميكروب واضحة حيث سخره الله عز وجل كبقية المخلوقات لخدمة الإنسان، يقول  
 تعالى: ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٦٤﴾ أَلَمْ  
 تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفَلَكَ تَجْرَى فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى

الْأَرْضِ إِلَّا يَذُنُوهُ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٦٥﴾ ﴿ سورة الحج ٦٤ - ٦٥ .. ويقول تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ ﴿ البقرة ٢٩ ، ويقول الله تعالى أيضاً: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ ﴿ الجاثية ١٣ .. ويقول تعالى أيضاً: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ﴿٢٢﴾ ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ ﴿٢٣﴾ ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٢٤﴾ ﴿ وَأَنْتُمْ مِّنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّا لَإِنْسَانٌ لَّظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣١﴾ ﴿ سورة إبراهيم ٣٢ - ٣٤ ، ويقول الله عز وجل ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ آيَاتٍ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّا فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ ﴿ سورة النحل ١٢ .

من خلال تلك الآيات السابقة نعلم أن جميع المخلوقات بما فيها الميكروبات مسخرة بإذن الله لخدمة الإنسان ولذا نجد أن من هذه الكائنات ما هو نافع ومفيد ولا تستقيم أسباب الحياة إلا به، إلا أن سوء الحظ - إن صح التعبير - دائماً قد يلزم كلمة الميكروبات لأن منها عدداً كبيراً يصيب ويسبب للإنسان وللحيوان وللنبات وأمراضاً يستعصي علاجها أحياناً. وتتنمى هذه الميكروبات أو الأحياء الدقيقة أغلب الأمر إلى البكتيريا والفطريات والفيروسات.

ولكن ما هو الدور الذي تلعبه تلك الكائنات الدقيقة في الطعام أو الشراب أو الملابس أو في الصناعة أو الزراعة حتى قيل: إنه لا حياة بدونها... عندما تموت الكائنات الحية من نبات وحيوان وإنسان، تهاجمها ملايين الكائنات الدقيقة من بكتيريا وفطريات.. تحللها وتحولها إلى مركبات بسيطة.. تتغذى هي عليها وتستفيد منها الكائنات الحية الأخرى.. فهل نتصور سطح الأرض وقد تغطى برمم الكائنات منذ الخليقة ولم يحدث لها تحلل ونعلم جميعاً أن المقابر على رغم صغر مساحتها إلا إنها تضم الكثير والكثير من الموتى بسبب التحلل المستمر من الكائنات الحية الدقيقة.. فكيف تستقيم أسباب الحياة والتكاثر.. وكيف تُتابع دورة الحياة.. ما لم تفعل هذه الميكروبات فعلها..

ومن ديوان أبو العلاء المعري:

صاح، هذى قبورنا تملأ الرحب      فأين القبور من عهد عاد  
خفف الوطء ما أظن      أديم الأرض إلا من هذه الأجساد

أى خفف المشى على الأرض فإن أديم أى تراب الأرض من الأجساد المتحللة فكلنا سوف نصبح من تراب الأرض.

وتلعب الكائنات الحية الدقيقة دوراً مهماً فى تحليل المواد العضوية المعقدة إلى مواد بسيطة سهلة.. يمتصها النبات النامى ويتغذى عليها.. ولذلك نقول: إنها تزيد من خصوبة التربة وتجدد شبابها وحياتها لتهب الحياة مرة أخرى لكائنات جديدة فى دورات متعاقبة.. وتظل كذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وثمة أنواع أخرى من البكتيريا ترتبط بحياتنا اليومية ارتباطاً وثيقاً.. ولعل الخميرة من أعظم الميكروبات أثراً فى مأكلا ومشربنا.. أليست بفضلها يصنع الخبز وتعد مصدراً هاماً للبروتين والفيتامينات.. وبواسطتها تصنع مشروبات ما كانت لتصنع لولا استخدام الخميرة (كائن دقيق). وصناعة الجبن والألبان تحتاج إلى ميكروبات معينة هى التى تؤدى إلى عملية التخثر (التجبن) المطلوبة.. أما الملبس، فلعلنا نعلم أن التيل والجوت والكتان وغيرها من ألياف النسيج لا يمكن استخلاصها إلا بتأثير ميكروبات معينة من خلال إفرازها لإنزيمات معينة.. تجعل سلخها أو تخليصها أمراً سهلاً.. حيث إن هذه الكائنات تذيب مواد معينة كانت تمسك الألياف وتلصقها بجسم النبات.. وإذا بهذه الكائنات تعمل عملها السريع فى تفكيكها.. فتصبح أليافاً صالحة للنسيج.. وثمة صناعات أخرى كثيرة تدخل فيها ميكروبات صديقة لأنها تؤدى خدمات حقيقية للإنسان.. فكثير من الأحماض التى تستعمل فى الصباغة واللباغة والبويات وفى صناعة الألياف الصناعية والروائح والمذيبات والحبر والمطاط الصناعى.. كل هذه صناعات تقدم فيها الميكروبات أعظم خدمة للإنسان فى تيسير العمليات الكيميائية التى تستخدم فى تحضيرها.

ولا ننس الكائنات الدقيقة التى تستخدم كبدايل للمواد الكيميائية الخطيرة فى التحكم الحيوى (البيولوجى) للأمراض النباتية وللحشرات الضارة.. ونذكر دائماً الميكروبات الصديقة التى أدت للإنسان أعظم فائدة فى إنتاج المضادات الحيوية التى تستخدم فى القضاء على معظم الأمراض مثل البنسلين ومشتقاته الذى ينتج من بعض الفطريات وبما أحدثت من طفرة هائلة فى عالم الدواء.. وتوجد فوائد عظيمة وكثيرة أخرى فى جميع المجالات التى تخدم الإنسان مثل الصناعة والزراعة والطب والبيئة والبحث العلمى.

## تسبيح الميكروب والإنسان لله

يقف العوالم (جمع عالم بفتح اللام) كلها علويها وسفليها ساجدة خاضعة لله مسيحة بحمده منقادة إليه سبحانه ويقف الإنسان هذا المخلوق الضعيف بالنسبة لله شاذاً فى ناموس

الكون العظيم كيف لايركع ويخر ساجداً لله ربه وخالقه وقد سبح لله الحجر والرمال والدواب والشجر والليل والنهار والظلمات والأنوار والجنة والنار والزمان والمكان يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿١﴾ الحشر ١.

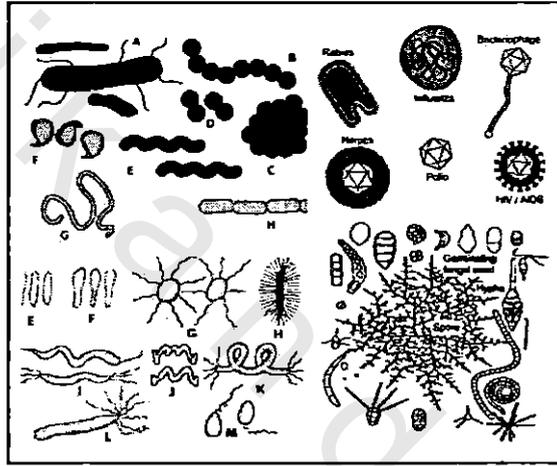
الميكروب وجميع الكائنات الحية الأخرى وكل من وجد في السماوات والأرض يسبحون ويسجدون لله رب العالمين.. حتى الجمادات تسبح الله تعالى وتختر له ساجدة وتنقاد لأوامره وإن لم تكن نفهم تسبيحهم.. يقول الله سبحانه: ﴿سُبِّحْ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ ﴿٤٤﴾ الإسراء ٤٤.. يقول الله سبحانه: ﴿الرُّتْرَانُ اللَّهُ يَسْجُدُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدُّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ ﴿١٨﴾ الحج ١٨.. وقد أشارت

الآيات القرآنية إلى تسبيح الجماد فقال تعالى في معرض الحديث عن النبي الكريم داود وما أعطاه الله له من معجزات: ﴿إِنَّا مَخْرَجْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإشْرَاقِ﴾ ﴿١٨﴾ ص ١٨.. والطيور يقول الله سبحانه: ﴿الرُّتْرَانُ أَنْ اللَّهُ يُسَبِّحُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَفَّتْ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ ﴿١١﴾ النور ٤١.. والرعد يقول الله سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾ ﴿١١﴾ الرعد ١١.. ويقول الله سبحانه: ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَيِّكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ النَّحَالِ﴾ ﴿١٣﴾ الرعد ١٢-١٣.. والملائكة يقول الله سبحانه: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ ﴿١١﴾ يسبحون الليل والنهار لا يفترون ﴿٢٠﴾ الأنبياء ١٩-٢٠.. فيتضح

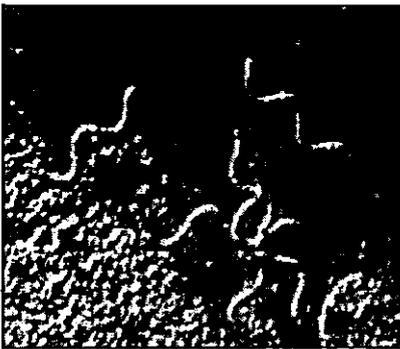
لنا أن كل المخلوقات تسبح الله دون تكبر ولا غفلة ولم يذكر الله في القرآن ما يشير إلى وجود كائنات كافرة أو عاصية أو غافلة عن ذكر الله ما عدا الإنسان الذي كرمه الله عن بقية المخلوقات وأنعم عليه بنعم كثيرة فوجد وغفل وكفر ولم يرض بما قسمه الله له يقول الله عز وجل: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوْنَهُ وَكَانَ أَمْرُهُ قَرْطًا﴾ ﴿٢٨﴾ الكهف من الآية ٢٨، ويقول الله سبحانه: ﴿وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ ﴿١٨﴾ الحج من الآية ١٨، يقول الله سبحانه: ﴿وَأذْكَرْتَكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ ﴿٢٥﴾ الأعراف ٢٥.

## أشكال الإنسان والميكروب

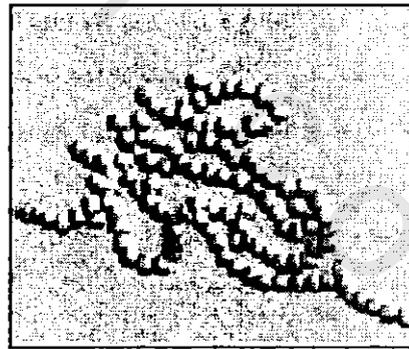
الميكروب له أشكال (الكروي والعصوي والخيطي والحلزوني النخ) وألوان (أحمر أو أبيض أو أسود أو أخضر أو أزرق النخ) وأنواع (بكتيريا وفطريات وفيروسات) كثيرة، الإنسان إما ذكرا وإما أنثى ولكن يوجد منه ما هو أحمر أو أبيض أو أسود ما هو طويل أو قصير يقول الله عز وجل: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَفَ السِّنِينَ وَالْوَنُكْرَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (الروم ٢٢) .. ولا اختلاف بينهم إلا بالتقوى والعمل الصالح كما يقول الرسول ﷺ (لا فرق بين عربي ولا أعجمي ولا لأبيض على أحمر إلا بالتقوى والعمل الصالح) صدق رسول الله ﷺ.



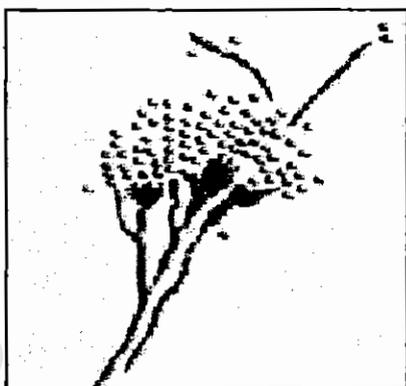
أشكال مختلفة للميكروبات.



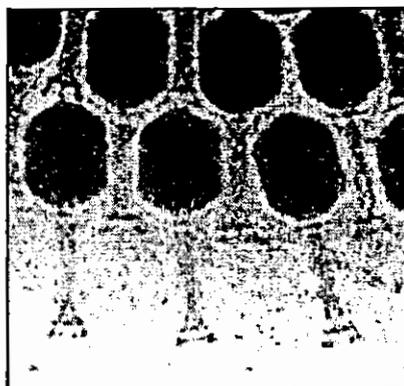
بكتيريا حلزونية.



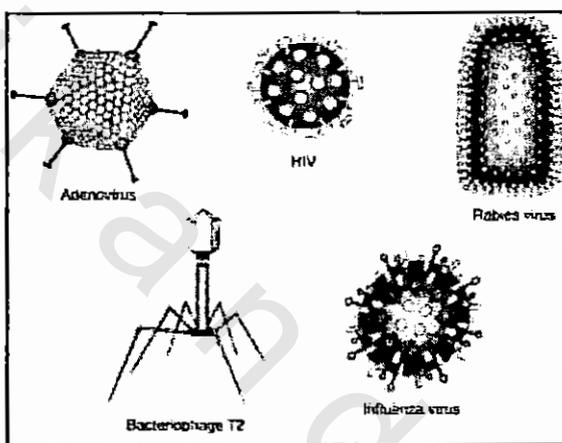
بكتيريا كروية سبحية.



فطر خيطي.



فيروس عديد الأوجه.



أشكال مختلفة للفيروسات.

### مراحل نمو الإنسان والميكروب

خلق الإنسان يمر بعدة مراحل.. وفي هذا السياق توجد تفاصيل كثيرة عن مراحل خلق الإنسان وكيف يتكون ومتى يخرج من رحم أمه إلى الدنيا الواسعة- جاءت في سورة «المؤمنون» حيث يقول الخالق عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً ﴿١٣﴾ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿١٤﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٧﴾ » المؤمنون ١٢- ١٦.

قد يكون من الملفت للنظر هنا ورود تفصيل أطوار خلق الإنسان في سورة من سور القرآن تحمل اسم «المؤمنون»، وكان الإيمان بالخلق من تمام الإيمان بالله وقدراته الخالقة اللانهائية، لا سيما إذا علمنا أيضا ومن القرآن الكريم أننا نحن بنى البشر لم نر بأم أعيننا أنفسنا ونحن نخلق حيث يقول الله عز وجل في سورة الكهف: ﴿ مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُمْ مُتَخَذِ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ٥١ ﴾ الكهف ٥١؛ ويقول جل شأنه: ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ٧٨ ﴾ النحل ٧٨. هذه الإشارات الربانية الرائعة والتي - بكل تأكيد - كانت غيبياً لا يستطيع أحد أن يراها أو يحسها في العصور الأولى، فأكثر ما كان يعرفه الإنسان في عصر النبوة الأول عن الحمل والولادة: ما هو ظاهر منه يرويه بأعينهم ويلمسونه بأيدهم ولم يكن أحد منهم يعرف مراحل تكوين الجنين بهذا التسلسل والتنظيم، منذ أن يصبح الإنسان نطفة يقذفها الرجل في رحم المرأة حتى تكوّن الجنين وخروجه في صورة الإنسان الكامل إلى الدنيا الواسعة بكل ما فيها ومن فيها وسبحان الله القائل: ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ١٣ ﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ١٤ ﴾ نوح ١٣-١٤. ولذلك يروى أن سيدنا عمر بن الخطاب لما سمع صدر هذه الآية التي فيها مراحل خلق الإنسان حتى قوله تعالى - خلقاً آخر - قال: فتبارك الله أحسن الخالقين فقال رسول الله ﷺ هكذا أنزلت وروى أن القائل غيره - تفسير القرطبي ج ١٢ ص ٧٩.

أيضاً لا ننكر أن خلق الميكروب يمر بعدة مراحل فعلماء الميكروبيولوجي يعلمون هذا جيداً فقبل أن تنقسم الخلية الميكروبية يحدث استعداد فسيولوجي داخل الخلية فتزداد الخلية في الحجم وتنقسم المحتويات الداخلية.. ولو أخذنا مثلاً فجرثومة الميكروب الفطري تنبت لتعطي أنبوبة إنبات ثم تنمو لتعطي خيطاً فطرياً يتحول فيما بعد إلى كتلة من الخيوط الفطرية التي تكون فيما بعد الأعضاء التكاثرية الجنسية واللاجنسية.

وإذا كان الإنسان يمر بعدة مراحل في حياته تبدأ بمرحلة الطفولة ثم مرحلة الشباب ثم مرحلة الشيخوخة ثم الممات يقول الله عز وجل: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ٥٤ ﴾ الروم ٥٤، فإن أيضاً الميكروب يمر بنفس المراحل فيبدأ بمرحلة النمو البطيء ثم مرحلة النمو السريع والقوة ثم مرحلة الثبات ثم مرحلة التناقص والضعف والموت..

## العلاقة بين الإنسان والميكروب

البيئة التي يعيش فيها الإنسان مليئة بأعداد وفيرة من الميكروبات (البكتيريا والفطريات والخمائر والفيروسات والحيوانات الأولية).. بعض من هذه الميكروبات يستطيع أن يعيش داخل جسم الإنسان ويسمى بالفلورا الطبيعية وتوجد مجموعة أخرى من تلك الكائنات داخل جسم الإنسان ولكنها تحدث له بعض الأمراض والفلورا الطبيعية أحياناً قد تسبب أمراضاً للإنسان وذلك بسبب حدوث إصابة للنسيج أو العضو الذى تعيش فيه أو نتيجة لضعف مقاومة الجسم للعدوى.

لكل جزء بجسم الإنسان محتواه الطبيعى من الميكروبات وذلك حسب الظروف البيئية الخاصة بهذا الجزء فنجد أن تجويف الفم يحتوى على أعداد كثيرة غير التى توجد فى تجويف الأمعاء أو بالجهاز التنفسى.. أيضاً يختلف المحتوى الطبيعى فى أنواعه وأعداده من إنسان إلى آخر حسب الظروف الصحية والغذائية والنشاط والسن والظروف البيئية التى يعيش فيها الإنسان.

ومن حيث وجود الأنواع فإن البكتيريا تعتبر المكون الرئيسى للميكروبات (الفلورا الطبيعية) وقد تتواجد الفطريات وخاصة بعض الخمائر والبروتوزوا (الطفيليات) ولكن بأعداد قليلة جداً من البكتيريا.. وبخصوص الفيروسات فليس من الواضح حتى الآن إذا كانت تتواجد بالجسم كمحتوى ميكروبى طبيعى أو لا وإن كانت بعض الفيروسات المعوية قد وجدت فى بعض الحالات حتى فى غياب الأعراض المرضية المميزة لها.

ويعتبر الفم وسطاً مثالياً لنمو كثير من الميكروبات المرضية وغير المرضية وذلك بسبب توفر الرطوبة وفضلات المواد الغذائية ولكن من رحمة الله عز وجل أن تدفق اللعاب المستمر بالفم يسبب تحركاً ميكانيكياً لكثير من الميكروبات إلى المعدة التى تتحلل بواسطة الحامض المعوى ولا يبقى بالفم إلا الميكروبات التى تلتصق به وكثير من الميكروبات توجد على سطح الأسنان وتعتبر إحدى مسببات تسوس الأسنان وقد وجد أن المواد العضوية والبكتيريا تتجمع على سطح الأسنان مكونة لطبقة البلاك وهى تحتوى على أعداد مرتفعة من البكتيريا تصل إلى حوالى مائة مليون خلية/ مليجرام من مادة البلاك.. وعلى رغم أن المعدة تستقبل باستمرار من الفم أعداداً كثيرة من الميكروبات إلا إن عصير المعدة فى الفرد السليم يحتوى عادة على عدد يقل عن ١٠ خلايا بكتيرية/ مل بسبب التأثير الحامضى القاتل (الرقم الهيدروجينى بالمعدة حوالى ٢) وتوجد أعداد قليلة من البكتيريا وأنواع من الخمائر متحملة للحموضة وقد وجد بعد تناول الطعام زيادة عدد البكتيريا بالمعدة من مائة إلى مليون خلية/ جرام طعام ثم ينخفض هذا العدد بمجرد إفراز العصارات المعدية وارتفاع درجة الحموضة.

يلى المعدة الأمعاء.. ويحتوى الجزء الأول من الأمعاء الدقيقة على أعداد قليلة من البكتيريا عادة حوالى مائة/ مل عصير معوى ويزداد عدد البكتيريا بعد ذلك فى الأجزاء التالية من الأمعاء الدقيقة بازدياد الرقم الهيدروجينى وفى الجزء الأخير من الأمعاء الدقيقة تتشابه الفلورا الطبيعية (مجموعة من الكائنات الدقيقة) الموجودة به مع الموجودة بالأمعاء الغليظة.

القولون يحتوى على أكبر عدد من الميكروبات حيث يصل فى براز الإنسان السليم إلى حوالى  $10^{11}$  / جرام وزن طرى وهى تمثل أكثر من ٣٠٠ نوع من الميكروبات.. ووجد أن حركة الأمعاء وحركة محتوياتها المستمرة وتقسير الخلايا الطلائية المتلتصقة بها الميكروبات والإفرازات المخاطية تعمل على إزاحة الميكروبات إلى البراز.. ووجد أن عدد الميكروبات الموجودة فى الأمعاء الغليظة يتأثر بالتغذية وتناول المضادات الحيوية.

أعضاء الجهاز البولى التناسلى مثل الكلى والحالبين والمثانة البولية تكون خالية من ميكروبات فى الإنسان السليم ولكن توجد الميكروبات فى الإحليل وهو المجرى الذى يحمل البول من المثانة.. فى الجزء العلوى من الإحليل القريب من المثانة توجد أعداد قليلة من البكتيريا ويزداد العدد فى الجزء الأسفل ولذا فإن بول الإنسان السليم عند إفرازه يكون خالياً من الميكروبات ولكن يبدأ وصول الميكروبات عند مروره بالإحليل ويحتوى البول الطبيعى على أقل من ألف ميكروب/ مل وإذا زاد العدد عن مائة ألف/ مل كان ذلك دليلاً على وجود عدوى فى الجهاز البولى التناسلى على الجانب الآخر تختلف الفلورا الطبيعية فى الأنثى باختلاف الدورة الشهرية.

ولو نظرنا فى هذا العالم الذى نعيش فيه وتأملنا قليلاً الكائنات الدقيقة من فيروسات أو بكتيريا أو طفيليات أو فطريات التى تحيطنا من كل جانب لوجدنا أن هناك روابط وعلاقات متعددة تربطنا بها وهذه العلاقات غالباً ما تكون فى صور متغايرة وذلك لوجود عوامل تتحكم فى تلك العلاقة، وعلى أساس هذه العوامل تتحدد الصورة التى تكون عليها هذه العلاقة أو تلك، وبشكل عام فإنها إما أن تكون ذات نفع وإما أن تكون ذات ضرر وتختلف القدرة المرضية من ميكروب إلى آخر حسب السلالات المختلفة للميكروب فهناك سلالات ذات قدرة إمرضية عالية أو متوسطة أو ضعيفة. كما توجد سلالات ليس لها مقدرة مرضية إطلاقاً وتسمى سلالات غير ممرضة أو غير سامة.. ومن العلوم أن هناك أشخاصاً يحملون كائنات دقيقة ممرضة دون أن تظهر عليهم أعراض المرض ويسمون الأشخاص الحاملين للميكروب دون أن يتأثروا به.. بينما إذا انتقلت هذه البكتيريا منهم إلى آخرين ظهرت عليهم أعراض المرض.

وعلى ضوء ما سبق نجد أن العلاقة بين الإنسان والميكروب معقدة ومن الصعب الفصل بين علاقة وأخرى.. وللحقيقة فإننا لا يمكن أن نجزم بأن هذا ميكروب ممرض وذلك غير ممرض

وعادةً يتم تفسير هذه العلاقة بأنها نتيجة الظروف والعوامل المحيطة والمتحكمة في الجسم عند دخول انيكروب إليه وهي غير معروفة في كثيرٍ من الأحيان.. وهنا تتجلى قدرة الخالق إذ إنه هو من يعطى لهذه الميكروبات القدرة على إظهار المرض.. وهو من يقدر للشخص الإصابة بالميكروب من عدمها. فهل يدرك الإنسان المتكبر أن كائنًا بهذا الحجم يستطيع أن يلقي به ميتا أو يمرضه مرضا يستعصى على الإنسان أن يجد له علاجاً.

## التكاثر في الإنسان والميكروب

الهدف من التكاثر هو الحفاظ على النوع وإنتاج أفراد جديدة ذات صفات جديدة مماثلة تماماً لصفات الأصل.. والتكاثر إما أن يكون جنسياً أى يحتاج إلى فردين (أب وأم) وإما أن يكون لاجنسياً أى يحتاج إلى فرد أبوى واحد.

### التكاثر اللاجنسى:

يوجد التكاثر اللاجنسى فى الكائنات الدقيقة مثل البكتيريا والفطريات والطحالب والحيوانات الأولية والديدان الثعبانية وبعض الكائنات الأخرى ونأخذ مثالا واحداً على هذا النوع من التكاثر فى الفطريات ولكن قبل أن أذكر المثال لابد أن أذكركم وأذكر نفسي أن التكاثر اللاجنسى وجد فى الإنسان منذ زمن بعيد مثال على ذلك: أن أمانا حواء خلقت من فرد واحد وهو سيدنا آدم.. ومثال آخر أن سيدنا عيسى خلق من فرد واحد وهو الأم مريم ولكن كل ذلك بأمر الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذْ أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٨٢) سورة يس الآية ٨٢، وفى ذلك بيان لطلاقة القدرة الإلهية ولم يحدث التكاثر اللاجنسى فى الإنسان منذ ذلك الوقت إلى الآن.. ويحدث التكاثر اللاجنسى فى كثير من الكائنات الدقيقة بطرق عديدة مثل الانشطار أو التبرعم الذى يحدث فى بعض الخمائر ويبدأ بتكوين نتوء (برعم صغير) خارجى على جدار الخلية ويندفع فيه جزء من السيتوبلازم وفى نفس الوقت تنقسم النواة انقساماً ميتوزياً إلى نواتين تهاجر إحداهما إلى هذا النتوء الذى يزداد فى الحجم ويتكون جدار خلوى يفصل بين الخلية الأم والخلية الجديدة الناشئة عن البرعم والتي تنفصل أو لا تنفصل عندما تصل إلى درجة معينة من النضج لتصبح خلية قادرة على الانقسام لتعيد دورة الحياة.

### التكاثر الجنسى:

يوجد فى كل الكائنات الحية ما عدا القليل منها أو بعبارة أدق أن العلم إلى الآن لم يكتشف التكاثر الجنسى فيها.. والتكاثر الجنسى كما قلنا يحتاج إلى فردين ذكر وأنثى أو أعضاء جنسية



ولكن يحمل الصفات الوراثية المشتركة بينهما ، ويلزم لذلك أعضاء متخصصة (جنسية تناسلية) في كل من الذكر والأنثى.

### الأعضاء الجنسية فى الذكر:

الذكر له اثنان من الأعضاء الجنسية الظاهرة وهما الخصيتان والقضيب حيث إن الخصيتين هما اللتان تصنعان الحيوانات المنوية وينتجان هرمون الذكورة (تستستيرون).. فالحيوان المنوى هو الخلية الجرثومية الذكرية الناضجة والهرمون الذكري تستستيرون هو الذى يسبب الظاهر الذكرية الثانوية مثل شعر الشارب واللحية وشعر العانة وخشونة الأحيال الصوتية وتطور العضلات.. وتوجد الخصيتان فى كيس خارج الجسم هو كيس الصفن وهو مكان تصنيع الحيوانات المنوية ويحتاج إلى درجة حرارة معينة (من ٣٥-٣٦ درجة مئوية) أى أقل من درجة حرارة الجسم (٣٧ درجة مئوية).. يتحرك الحيوان المنوى غير الناضج من الخصية عبر أنابيب حلزونية خارج كل خصية هى البربخ. ويتكون القضيب من نسيج إسفنجى ويقوم بقذف الحيوانات المنوية إلى داخل الأنثى. والحيوانات المنوية توجد داخل السائل المنوى الذى يقوم بالآتى:

- ١ - يعطى وسطا مائيا للحيوان المنوى ليسبح فيه خارج الجسم.
- ٢ - يمد الحيوان المنوى بالتغذية اللازمة له (سكريات- فيتامين ج- أحماض أمينية).
- ٣ - يحمى الحيوانات المنوية من حمضية قنوات الأنثى الجنسية بمعادلتها بتأثيره القلوى.

### الأعضاء الجنسيه فى الأنثى:

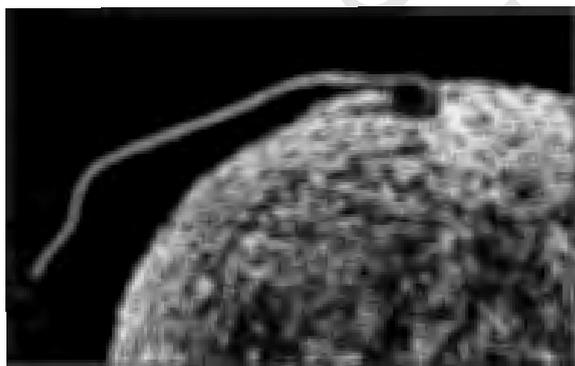
أعضاء الأنثى التناسلية توجد داخلها مثل المبيضين وهما العضوان الأنثويان الرئيسيان اللذان يمثلان الخصيتين عند الذكر وهما اللذان يصنعان البويضات وهى الخلايا الجرثومية الأنثوية الناضجة. وكذلك يفرز المبيض هرمون الأنوثة (الأستروجين) والذى يسبب الصفات الأنثوية الثانوية مثل زيادة حجم الثديين ونعومة الجلد وتوزيع الدهون فى أماكن معينة من الجسم مثل الفخذين.. تتطور البويضات بالمبيض وتخرج عند التبويض إلى قناة فالوب حيث يحدث الاندماج.

### إنتاج الخلايا الجنسية :

يستطيع الذكر إنتاج الخلايا الجنسية (على شكل حيوانات منوية) باستمرار وحتى الوفاة، وهناك أمثلة كثيرة لرجال أنجبوا فى سن ٩٠ عاماً.. على العكس من ذلك الأنثى لها مواعيد

محددة حيث إنها تولد وبداخلها عدد معين من البويضات تخرجها كل شهر ابتداء من البلوغ في موعد محدد مع تغيرات هرمونية وعضوية فيما يعرف بالدورة الشهرية والتي تستمر حتى أواخر الأربعينات أو أوائل العقد الخامس من عمرها وبعد ذلك يتوقف المبيض عن إخراج البويضات وتدخل الأنثى في تغيرات وظيفية وهرمونية فيما يعرف بسن اليأس أو انقطاع الطمث. . يعبر الحيوان المنوى الحاجز المخاطي الموجود في مدخل عنق الرحم والذي يتحول أثناء التبويض إلى سائل رقيق للغاية فيسهل مهمة الحيوان المنوى وبعد عبوره يسير عبر عنق الرحم إلى داخل الرحم ثم في داخل الرحم الرطب إلى قناة فالوب وهنا تتجه الحيوانات المنوية في كلا الناحيتين (القناتين) فالكثير منهم يذهب في الاتجاه الخاطيء أى القناة التي لا يوجد بها البويضة حيث إن البويضة تكون موجودة في قناة واحدة فقط .. فى نهاية الرحلة يصل حوالى ١٠٠٠ حيوان منوى إلى البويضة ويحيط بها الحيوانات المنوية ولكن لا يخترقها إلا واحد من ملايين الحيوانات المنوية وتحيط هذه الحيوانات المنوية بالبويضة ويخرج رأس الحيوان المنوى إنزيمات تؤدي إلى تحلل (كس) الجدار الخارجى للبويضة لثقبها وبمجرد نجاح أحد الحيوانات المنوية فى اختراق البويضة يتغير الغشاء الخارجى وينتفخ طارداً باقى الحيوانات المنوية بعيداً عن البويضة والتي تموت فى خلال ٤٨ ساعة.

والنطفة الناتجة (نطفة أمشاج) تبدأ فى الانقسام بمجرد اندماج الحيوان المنوى مع البويضة وأثناء توالى عملية الانقسام تتحرك البويضة المخصبة خلال قناة فالوب إلى الرحم وفى خلال أربعة أيام تصل إلى حوالى ١٠٠ خلية وتسمى blastocyst وتصل الى جدار الرحم وتطفو لمدة يومين ثم تغرس فى اليوم السادس بعد الإخصاب وتبدأ فى إفراز هرمونات الحمل فى رحلة طولها ٩ أشهر.



شكل يوضح اختراق الحيوان المنوى للبويضة.

## آيات الله في خلق الإنسان:

إنه الله سبحانه وتعالى الذى يستحق منا التفكير والحمد والخشوع والسجود إجلالاً لفضله علينا بأن وهبنا جسداً فى أحسن تقويم لا يمكن لأحد أن يصنع خلقاً مشابهاً لخلقه لا صورة ولا معنى.. فالإنسان لديه عين يرى بها كل ما هو مرئى وعقل يدرك ما لا يراه وهذا كله من فضل الله عليه.. ولقد أقسم الله تعالى بشجرة التين وشجرة الزيتون وجبل الطور فى سينا، وبمكة المكرمة ليؤكد على قضية مهمة جداً وهى أنه سبحانه وتعالى خلق الإنسان فى أحسن خلقه (كما ذكر مجاهد) وفى أحسن صورة (كما ذكر قتادة والكلبى). ويقول الله سبحانه جل وعلا فى كتابه الكريم وهو أصدق القائلين: ﴿أَفَرَأَى بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ العلق ١-٥... هذه الآيات الكريمة هى أول ما نزل من القرآن الكريم على خير خلق الله محمد ﷺ، وكثيراً ما يستدل العلماء والراسخون فى العلم بهذه الآيات للدلالة على أهمية العلم فى الإسلام لما فيها من إشارات وأوامر بالقراءة والكتابة والفكر والتفكير. ولكنها وهى الآيات الأولى نزلت فى القرآن الكريم تلفت النظر أيضاً إلى شىء آخر عظيم وجليل.. إنه خلق الإنسان.. وإن على الإنسان أن يعلم أن خالقه هو الله عز وجل وإن أحد مراحل خلقه وتكوينه فى رحم أمه هى العلقة.. وإنه جل شأنه علمه ما لم يكن يعلم.. وعندما تكبر أحد الخلفاء وأغتر بنفسه رد أحد الزهاد عليه فقال له أولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وأنت بينهما تحمل العذرة فعلام تتكبر.

انظر إلى الجنين كيف يتغذى فى بطن أمه، وكيف يتنفس، أو كيف يقضى حاجاته، وكيف تنمو أجهزته ومن أين نشأت، أو كيف تعلق فى الرحم، وكيف أن الحبل السرى الذى يربطه بأمه ليتغذى به منها قد روعى عند تكوينه ما يحقق الغرض الذى تكوّن من أجله دون إطالة قد تسبب تخمر الغذاء فيه، أو قصر يؤدي إلى اندفاع الغذاء إليه بما قد يؤذيه.. إذا ما فكرنا فى ذلك فلا نملك إلا أن نعترف بقدره الصانع ولطف الخالق..

الثدى أوعية على هيئة شبكة كثيرة العدد، دقيقة الحجم، تتميز عن غيرها من الأوعية الدموية بكثرة مرور الدم فيها. هذه الأوعية تحيط بفجوات متسعة مبطنة بالخلايا، صانعة اللبن، الذى تستخلصه من الدم المار بالأوعية. ويخرج اللبن من هذه الفجوات إلى مستودعات يبلغ عددها خمسة عشر أو عشرين، مكانها تحت دائرة حلمة الثدي.. وتضيق قنوات هذه المستودعات كلما قربت من سطح الحلمة حتى تصبح فتحات ضيقة بهذا العدد، توزع اللبن بها توزيعاً عادلاً، ويكون بذلك فى حالة ميسرة لرضاعة الطفل فكيف تحول الأحمر إلى أبيض.. سبحانه الله.

عندما يحجب الطفل عن الرضاعة ويبدأ فى الأكل، تظهر الآيات البيئات على قدرة الخالق وعظمته.. بما يشاهد من جليل الصنع على تهيئة الإنسان بما يحقق له حفظ حياته.. فنجد فى

فم الإنسان فتحات الأنف الداخلية، وفتحة التنفس فى أول القصبة الهوائية وفتحة البلعوم أول القناة الهضمية.. ويقول العلم: إن أية ذرة من غبار أو غذاء تضل طريقها وتصل إلى القصبة الهوائية لا بد أن تُطرد.. وما السعال إلا محاولة لطرد الغبار الذى يصل إلى القصبة الهوائية مع العلم أن أية ذرة من الغبار تدخل القصبة الهوائية قد تؤدى إلى الموت.. فكيف تدخل البلعة الغذائية إلى فتحة القناة الهضمية ولا تدخل فى فتحة القصبة الهوائية برغم تلاصق فتحتيهما.. سبحان الله.

يغطى الجسم جدار سميك محكم بديع يحمى ويحجب الأسرار التى تجرى بداخله.. هذا الجدار هو الجلد، وهو من أدق وأروع الآيات المحكمات الدالة على جليل صنع الخالق، فالجلد لا ينفذ منه الماء ولا الغازات إلى الداخل، على رغم مسامه التى تساعد على إخراج الماء من داخل الجسم فهو يخرج الماء ولا يسمح بدخوله.. سبحان الله.

حاسة الإبصار «العين» التى تحتوى على ١٣٠ مليوناً من مستقبلات الضوء.. ويقوم بحمايتها الجفن ذو الأهداب الذى يقيها ليلاً ونهاراً، والذى تعتبر حركتها حركة لا إرادية.. ويمنع عنها الأتربة والأجسام الغريبة.. كما يكسر من حدة أشعة الشمس بما تلقى الأهداب على العين من ظلال. وحركة الجفن تمنع أيضاً جفاف العين... أما السائل المحيط بالعين (الدموع) فهو أقوى مطهر ويجعل حركة العين سهلة وبدونه تصاب العين بما يمنعها عن الإبصار والحركة.

تبدأ حاسة السمع بالأذن الخارجية وكيف أن الاهتزاز الذى يحدثه الصوت فى الهواء ينقل إلى الأذن التى تنظم دخوله ليقع على طبلة الأذن ويوجد فى الأذن مائة ألف خلية سمعية.. دقة وعظمة تحير الألباب.

الجهاز العظمى فى الإنسان، هو المثل الرائع للهندسة الربانية التى نسجد أمامها لله القادر، ويتكون هذا الجهاز الذى يسمى بالهيكل العظمى من ٢٠٦ عظام فى الإنسان البالغ ويتصل بعضها ببعض.. بها يمكن تحريك كل جزء من أجزاء الجسم بيسر وسهولة. وقد قرر العلم أن فقرات العمود الفقرى جعلت بالطول والعرض المناسب الذى يمكن الإنسان من الانحناء إلى أسفل وفى نفس الوقت تقوم العظام بحفظ نخاع فى وسطها.. والهيكل العظمى بالوظائف التى يؤديها وإختلاف شكله فى أجزائه وتباين طريقة تكوينه يعتبر آية من آيات قدرة الله فى خلقه.

الجهاز العصبى الذى يسيطر على الجسم سيطرة تامة يتكون من شعيرات عصبية دقيقة تمر فى كافة أنحاء الجسم، وتتصل بشعيرات أكبر منها، وهذه تتصل بالجهاز العصبى المركزى.. فإذا ما تأثر عضو من أعضاء الجسم بأى مؤثر نقلت الشعيرات العصبية هذا الإحساس إلى المخ حيث يمكنه أن يتصرف تجاه المؤثر.. وتبلغ سرعة سريان الإشارات والتنبهات فى الأعصاب ١٠٠ متر فى الثانية.. ونأخذ مثلاً على ذلك عندما يلمس جسم الإنسان النار أو يُشك بدبوس فنرى سرعة انتباه المخ لهذا المؤثر وسرعة الحركة اللاإرادية للجسم فى هذه الحالة..

والقلب الذى يتكون من أربع حجرات يفصلها حاجز رأسى يجعل كل اثنتين منها فى جانب.. وتسمى كل من الحجرتين العلويتين أذينا، والسفليتين بطينا، ويفصل الأذنين عن البطنين صام ، ولا يزيد حجم القلب عن قبضة اليد ومع ذلك فإنه يبذل من النشاط فى خلال ٢٤ ساعة ما يكفى لحمل رجل ١٢٥٠ قدما فى الهواء.. والقلب مسئول عن ضخ الدم إلى جميع أجزاء الجسم.. والدم يتكون من ٢٥ إلى ٣٠ ألف بليون خلية حمراء، ٥٠ بليون خلية بيضاء ويحتوى على أجسام مضادة للميكروبات. وتوجد أعضاء وأجهزة أخرى فى جسم الإنسان تحتوى على الكثير والكثير من آيات الله.. وتقوم بالكثير من الوظائف الحيوية للجسم.. فالإنسان يأكل وينام ولا يدرى ما يحدث داخل جسمه من هضم الطعام والتخلص من المواد السامة الناتجة من فضلات الطعام.. يقول البارى تبارك وتعالى: ﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ (١١) ﴿ الذاريات ٢١، ويقول رب العزة تبارك وتعالى: ﴿ سَرَّيْهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُم أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (٥٣) ﴿ فصلت ٥٣، ويقول أيضا جل شأنه: ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَرِيرِكُمْ ءَايَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَفْلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (١٣) ﴿ النمل ٩٣.

ولا يمكن أن يكون فى خلق الله نقص ولا زيادة ولا عبث فكل شيء عنده بقدر يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْتَهُ بِقَدَرٍ ﴾ (١٩) ﴿ القمر ٤٩.

فنجد أن الزائدة الدودية التى كان يظن الناس خطأ منذ عقود أنها عضو زائد فى جسم الإنسان لا فائدة له.. ظهر للعلماء أن لها منافع هائلة. فقد قال فريق طبي أمريكى: إنه اكتشف الدور الحقيقى للزائدة الدودية الذى حير العلماء منذ زمن بعيد.. فوجد أنها مسئولة عن إنتاج وحفظ مجموعة متنوعة من البكتيريا والجراثيم التى تلعب دوراً مفيداً للمعدة.

ولفت الفريق التابع لجامعة ديوك الأمريكية النظر «Duke University» إلى أن هذا الاكتشاف قد يحسم الجدل حيال الدور المقترض للزائدة الدودية، يعد أن اعتبرت مدارس الطب الرسمية لعقود طويلة أنها عضو فقد دوره مع تطور الإنسان وبات من الممكن إزالته دون ارتدادات سلبية (فقد كانت الزائدة دليلاً من الأدلة المزعومة لنظرية التطور الهالكة فانقلب السحر على الساحر وأصبحت دليلاً على وجود التقدير فى الخلق وأصبحت من الأدلة المهمة التى تهدم نظرية التطور والصدفة فى الخلق).. ووفقاً للدراسة التى أجراها الفريق ونشرها فى مجلة «الطب النظرى»، فإن عدد الجراثيم والبكتيريا التى يحويها جسم الإنسان تفوق عدد خلاياه، لكن مع هذا يوجد عدد كبير من هذه الكائنات الدقيقة يمارس دوراً إيجابياً داخل الجسم ويساعد على هضم الأطعمة.

وتشير الدراسة إلى أن أمراضاً معينة، مثل الكوليرا أو الإسهال الشديد قد تؤدي إلى إفراغ الأمعاء من هذه البكتيريا والجراثيم المنفيدة، وهنا يبدأ دور الزائدة التي يستوجب عليها في هذه الحالة العمل على إعادة إنتاج وحفظ تلك الجراثيم.

وللتأكيد على صحة ما ذهبت إليه، اعتبرت الدراسة أن موقع الزائدة الدودية في الطرف الأسفل من الأمعاء الغليظة التي تعتبر ممراً أحادي الاتجاه للطعام تشكل دليلاً على ذلك. وسؤال يطرح نفسه هل كانت الزائدة الدودية تعرف مسبقاً أهمية الجراثيم المنفيدة فقامت بتخزينها لحين الحاجة إليها... وهل يمكن أن يحدث هذا بالصدفة... أو هناك قدرة عليا (قدرة الله) تقدر وتعدها لتقوم بهذه المهمة.

### همسات حول الكون ونشأة الحياة:

منذ أن وجد الإنسان على وجه الأرض، ومنذ فجر التاريخ، وهو يفكر في أصل الحياة والكون وخالقها.. كان الإنسان يعتقد ويؤمن بوجود إله خالق للحياة والكون، إلا أن ذلك الإيمان كان غيبياً. يقول سبحانه وتعالى: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ العنكبوت ٢٠، التعبير الإلهي في قوله تعالى فانظروا أى اجعلوا سيركم في الأرض لأجل النظر والتفكير ولا تسيروا سير الغافلين بخلاف، ثم انظروا فهي تدل على أن النظر في الأرض ليس هو الهدف الأساسي من السير بل قد يكون للتجارة وغيرها وكلاهما يشتمل على الأمر بالنظر في خلق الله وملكه.

وكان لزاماً على أن أذكر أولاً كلام الفلاسفة في خلق الكون ثم نرد عليهم من القرآن الكريم ولكنني فعلت العكس وتمنيت ألا أكون قارئاً حتى لا أقرأ كلامهم ولكن الحمد لله الذي جعل منهم من يرد عليهم.. ولكن أخذتهم العزة والكبرياء والجبروت. يقول الله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطُلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ آل عمران ١٩١.. وكان الصراع الفكري قائماً بين الفلسفة العقلية المادية والفلسفة الروحية، وما زالت البشرية بكل محاولاتها الفلسفية والفكرية، وبكل تطورها العلمي والتقني المذهل تعتبر الحياة ونشأة الكون لغزاً عميقاً ومحيراً.. ولكن هل يمكن حقا بعد كل هذه التطورات العلمية المذهلة اعتبار أصل الحياة لغزاً محيراً.. بعض العلماء يعتقدون ذلك وبلا شك فإنهم يقصدون التطور العلمي الكبير الذي يحدث في مجال الكيمياء والفيزياء علماً بأنهم يسمون بأنه ليست هناك إمكانية أو قدرة على إيجاد معادلة رياضية أو تحليل مختبري يجيب عن ذلك.. كتب أحد الفلكيين- يسأل ويجيب عن نفسه- ذاكرة (هل

الله هو الذى أخذ المبادرة وأبدع هذا الكون الملائم تماما لحاجتنا؟! فكرة رائعة، ولكنى يؤسفنى القول: إنها من نسج الخيال.. إن نَسب هذا الإبداع الى الله ليس بتفسير مقنع).. وليس كل الفلكيين من أمثاله، فقد قال الفلكي «آلان ساندايدج» (فى نظرى من المستحيل أن يكون كل هذا التنظيم فى الكون قد نشأ من الفوضى. فىجب أن يكون هناك مصدر لهذا التنظيم.. وهذا هو التفسير الوحيد لعجبية الوجود.. السبب الذى يوضح لماذا الأشياء موجودة).

إن البحوث العلمية محدودة إذ تقتصر فقط على ما يلاحظه البشر أو يتفحصونه، وماعدا ذلك فهو مجرد نظريات أو أفكار وتخمينات، ومن المستحيل إخضاع وجود الله للتجارب العلمية.. لذلك فإن الذى يرفض فكرة الإيمان بوجود الله خالق الكون على أنها غير علمية يكون شخصاً متعجرفاً متشبهتاً برأيه.. لاحظ العالم «فنسنت ويغلزورث» من جامعة كيمبريدج أن الطريقة العلمية هى فى الواقع (أسلوب يعتمد على الإيمان كيف ذلك.. إنها تركز على الإيمان الراسخ بأن الظواهر الطبيعية تتبع قوانين الطبيعة).

لقد أثبتت فروع العلم كافة أن هناك نظاماً معجزاً يسود هذا الكون أساسه القوانين والسنن الكونية الثابتة التى لا تتغير ولا تتبدل والتى يعمل العلماء جاهدين على كشفها والإحاطة بها.. فمن الذى سن هذه القوانين الثابتة.. وكل ذلك النظام والتوافق والانسجام.. من الذى صمم فأبدع وقدر فأحسن التقدير.. هل خلق كل ذلك بالصدفة العشوائية من غير خالق.. إنه يستحيل عقلاً أن يكون ذلك قد تم عن طريق المصادفة العمياء.. لا بد لكل ذلك من خالق مبدع عليم خبير أحاط بكل شىء.. فهذه المصادفة العمياء من المستحيل عليها أن تخلق الخلق على أدق نظام وربطه جميعاً بأسباب ومسببات ويسير وفق قدر من أدق الذرات إلى أعظم الكواكب والمجرات. فالمصادفة لا تستطيع أن تخلق كل شىء على هذا النمط والنسق من الإحكام والنظام وتجعل الناس يسرون فى حياتهم على النظام الذى فرضته عليهم.

ولكن كيف يمكننا أن نعرف أنه يوجد إله.. إن إحدى الطرق لتحديد ما إذا كان يوجد إله هو تطبيق هذا المبدأ.. ما هو مصنوع لا بد له من صانع، وكلما كان الشىء المصنوع معقداً أكثر وجب أن يكون الصانع مقتدراً أكثر، لأن الأشياء البسيطة تتطلب صانعاً بسيطاً، أليس منطقياً أن تتطلب الأشياء المعقدة صانعاً أكثر دقة أيضاً.. فأبسط الأشياء مثل الساعة تستلزم وجود ساعاتى، فالكون الواسع الأكثر تعقيداً ونظاماً والرائع إلى أبعد الحدود يستلزم وجود مصمم وصانع وخالق ومبدع. وأعظم مثال على ذلك النظام الشمسى الأكثر تعقيداً كما أثبت العلماء.. الشمس وكواكبها الدائرة حولها بدقة، والأرض التى نعيش عليها، والمجرة المحيطة بنا المعروفة بدرب التبانة

بنجومها الأكثر من ١٠٠ بليون.. لها صانع وخالق ومبدع وقادر.. من هو هذا الخالق.. إنه الله سبحانه وتعالى.

ويقول أبو العتاهية:

فيا عجباً كيف يعصى الإله وكيف يجحده الجاحد  
وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

وكلما درس العلماء أكثر عن الأرض والكون أدركوا أكثر أنها مصممة على نحو فريد يلانم سكن الناس.. إنها بعيدة عن الشمس البعد الصحيح تماماً للحصول على المقدار المناسب من النور والحرارة، ومرة في السنة تدور حول الشمس.. وماذا عن الأشياء الحية الأكثر تعقيداً.. ألا تتطلب صناعاً، ولو أمضى الإنسان النظر إلى نفسه ورأى تركيب جسمه ودقة صنعه ثم فطن إلى النظام الدقيق الذى يجرى فيه لفطن حالاً أن المصادفة لم تلعب دوراً فى تكوينه وتركيبه وخلقه وأنه لا بد من وجود قوى عليا غير مرئية أوجدته وخلقته.

فقد ذكر العالم المتخصص فى علم البيولوجيا الجزيئية «ميخائيل دنتون» فى كتابه (التطور نظرية فى أزمة) أن أبسط الأجهزة الحية جميعاً على الأرض اليوم الخلايا الجرثومية وهى خلايا حية معقدة للغاية.. ومع أن الخلايا الجرثومية هى صغيرة إلى حد يفوق التصديق، فإن كل واحدة هى فى الواقع مصنع مصغر جداً حقيقى يحتوى على آلاف القطع المصممة بصورة دقيقة للجهاز الجزيئى المعقد، أكثر تعقيداً بكثير من أية آلة صنعها الإنسان وبلا نظير مطلقاً فى العالم غير الحى.. وفيما يتعلق بالشفرة الوراثية فى كل خلية يذكر (إن قدرة الحامض النووى DNA على تخزين المعلومات تفوق إلى حد بعيد تلك التى لأى نظام معروف آخر. إنها فعالة جداً بحيث إن كل المعلومات اللازمة لتعيين مواصفات كائن حى بتعقيد الإنسان تزن أقل من بضعة أجزاء من ألف بليون جزء من الجرام.. ذلك بالمقارنة مع مستوى الإبداع والتعقيد اللذين يبيدهما الجهاز الجزيئى للحياة، فإنه حتى منتجاتنا الأكثر تقدماً تبدو غير متقنة الصنع) ويضيف «دنتون» (إن التعقيد لأبسط نوع معروف من الخلايا هو عظيم جداً بحيث يستحيل القبول بأن شيئاً كهذا يمكن أن يكون قد جمع معاً فجأةً بحادثة من نوع ما غريبة وبعيدة الاحتمال جداً لقد وجب أن يكون لها مصمم وصانع).

ثم يقول هذا العالم (ومن حيث التعقيد تكون الخلية الأحادية لا شيء عندما تقارن بعضو مثل مخ الثدييات. فالخ البشرى يتألف من نحو عشرة آلاف مليون خلية عصبية، وكل خلية عصبية يمتد منها تقريباً ما بين عشرة الآلاف ومائة الألف من ألياف التوصيل التى بها تقوم بالاتصال بالخلايا العصبية الأخرى من المخ، وتقريباً يقترب العدد الإجمالى للتوصيلات فى الدماغ البشرى

من ألسف مليون مليون) ويتابع «دنتون» (حتى ولو كان جزءاً واحداً فقط من مائة من التوصيلات فى المخ منظماً بصورة خصوصية فإن هذا يمثل مع ذلك جهازاً يحتوى على عدد من التوصيلات المحددة هو أكثر بكثير مما فى كامل شبكة الاتصالات على الأرض) ثم يسأل (هل كان ممكناً لأى نوع من العمليات العشوائية أن يجمع فى أى وقت مضى أجهزة كهذه) من الواضح أن الجواب يجب أن يكون لا.. فلا بد أنه كان للمخ مصمم وخالق قادر على كل شىء. إن المخ البشرى يجعل حتى أجهزة الكمبيوتر الأكثر تقدماً تبدو بدائية لأن المخ البشرى هو الذى قام باختراعها.

قال الكاتب «مورتن هانت» (تستوعب ذاكرتنا النشطة معلومات أكثر ببلايين المرات من كمبيوتر أبحاث عصرى كبير) لذلك استنتج جراح المخ الدكتور «روبرت وايت» (ليس لى خيار إلا أن أعترف بوجود ذكاء أسمى مسئول عن تصميم ونمو العلاقة المدهشة بين المخ والعقل، أمر يتجاوز بمراحل قدرة الإنسان على الفهم، ويجب أن أؤمن بأن هذا كله كانت له بداية ذكية، وأن شخصاً ما أحدثه).

هناك عجائب أخرى كثيرة فى الجسم البشرى، تأملوا أيضاً فى شكل عين الإنسان المنصمة بشكل رائع جداً حتى إنه ما من كاميرا يمكن أن تماثلها.. قال الفلكى «روبرت ياسترو» (يبدو أن العين صممت وما من مصمم للتلسكوب كان يمكنه أن يصمم أفضل) ترى العين البشرية مجالاً من التفاصيل أكبر بكثير مما يرى الفيلم.. فهى ترى بالأبعاد الثلاثة بزاوية واسعة للغاية دون تشوه، بحركة دائمة ومقارنة الكاميرا بالعين البشرية ليست تشبيهاً جيداً، فالعين البشرية هى أشبه بكمبيوتر فائق متقدم على نحو لا يصدق ذى ذكاء اصطناعى قادر على معالجة المعلومات بسرعة كبيرة، وطرق للتشغيل تفوق إلى حد بعيد أى جهاز كمبيوتر أو كاميرا من صنع الإنسان.. فياله من جهاز مدهش ومنظم جداً وبالتأكيد إن أى شىء مجموع على هذا النحو الجيد ويزود الجسم بالمعلومات على هذا النحو الشامل لا بد أن يكون له منظم ذكى إنه الله.

وعن طريق العقل يتوصل الإنسان إلى حقيقة وجود الله خالق كل شىء وما خلق الله العقل فى الإنسان إلا ليتم له ما نقصه من الغريزة الكاملة التى فى الحيوان، وما أراد أن يعوض له عن نقص الغريزة بالعقل إلا ليمنحه إرادة يسير بها على حسب رغباته. فمن لم يستعمل عقله فى تنظيم أعماله فقد نقصت غريزته بالخلق ونقص عقله بالتخلق.. إلا أن العلم فى العصر الحديث قد أثبت بما لا يقبل الجدل ولا الشك بوجود الله فارتبط العلم بالإيمان.. وأصبح الإنسان على قناعة تامة بوجود قوة خفية تسيطر عليه وعلى الحياة حوله وظل يؤمن بالله إيماناً فطرياً حتى بدأت عصور العلم تتطور وتتقدم نحو الأفضل، وكلما زاد نطاق العلم أصبح الإيمان عن يقين وببراهين علمية. ويقول عالم الفلك «هرشل» فى القرن الثامن عشر (كلما اتسع نطاق العلوم كثرت

الأدلة على وجود حكمة خالقة قادرة مطلقة وما علماء الطبيعة والكيمياء والفلك إلا بناء لمعابد العلوم التي يُسبح فيها للخالق العظيم).

وكلما ننظر بأعيننا إلى هذا الكون ونشاهد ما فيه من سماء ونجوم نتوصل عن طريق العلم والمعرفة والعقل أن هذا الكون خُلق بحكمة وتدبير وأن القصد من خلقه أصبح واضحاً جلياً.. إلا أن عقول البشر مازالت تبحث عن أجوبة وتفسيرات مقنعة.. هل هذا الكون كَوَّن نفسه بنفسه بدون خالق؟ ولكن كيف يكون ذلك.

ويتبين لنا من هذا أن الدراسة والبحث في كيفية خلق الكون أنها قديمة قدم الإنسان نفسه، ولم تأخذ طابعها العلمي إلا في منتصف القرن الثامن عشر بعد أن انفصل العلم الفضائي عن التنجيم الذي كان سائداً منذ القدم في دراسة حركات الكواكب والنجوم وربطت مصائر البشر بها.. إلا إن البشرية لم تحاول الإجابة عن سؤال أصل الحياة والكون فهناك تصورات فلسفية واحتمالات أربعة للإجابة عن هذا السؤال.

١ - أن هذا الكون قائم على الوهم والخيال.. والحياة عبث بدون نهاية ولا حساب، حيث يرى الفيلسوف «السيرجينز» أن هذا الكون ليس له وجود فعلى وأنه مجرد صورة في أذهاننا وحسب هذا التفكير أننا نعيش في عالم من الأوهام حتى وجودنا عبارة عن أوهام وخيالات.

٢ - أن هذا الكون تكوَّن من تلقاء نفسه من العدم، والحياة كانت مسبقة بعدم مطلق قبل الوجود وهنا سوف يتجه العقل والفكر إلى جذور هذا الكون وأصل وجوده وسر نظامه. سيقول العقل من المستحيل أن هذا الكون بما فيه من مادة وطاقة قد نشأ هكذا وحده من العدم. يقول «جوليان هسلكي» من مؤيدي الفلسفة الوجودية (إن الإنسان قد خلق فكرة الله إبان عصر عجزه وجهله، أما الآن فقد تعلم وسيطر على الطبيعة بنفسه، ولم يعد بحاجة إليه، فهو العابد والمعبود في آن واحد).. ويقول الفيلسوف «بيرتراند رسل» حول هذا الموضوع أيضاً (ليس وراء نشأة الإنسان غاية أو تدبير إن نشأته وحياته وآماله ومخاوفه وعواطفه وعقائده ليست إلا نتيجة لاجتماع ذرات جسمه عن طريق المصادفة وجميع ما قام به الإنسان عبر الأجيال من أعمال فذة، وما اتصف به من ذكاء وإخلاص مصيره الفناء المرتبط بنهاية المجموعة الشمسية).. ويرد عليه العالم «أينشتاين» قائلاً (إن الشخص الذي يعتبر حياته وحياته غيره من المخلوقات عديمة المعنى ليس تعساً فحسب ولكنه غير مؤهل للحياة) ويمثل هذا الاتجاه الوجودية، والتي هي تيار فلسفي، وليست نظرية فلسفية واضحة المعالم، ولم تأخذ مكانها بين العقائد والأفكار. ومؤسس هذه الفلسفة «سورين كيجورد» (١٨١٣ - ١٨٥٥م) من خلال كتابه «رهبة واضطراب»، وأشهر زعمائها المعاصرين «جان بول سارتر» الفيلسوف الفرنسي، وهو ملحد، ومن أشهر كتبه «الوجود

والعدم» وهو يكفر بالله ورسله وكتبه وبكل الغيبيات. لان كل ما جاءت به الأديان والنظريات الفلسفية لم تحل مشكلة البشر، ويعتقد كما يعتقد باقى الوجوديين، بأن الإنسان أقدم شىء فى الوجود، وما قبله كان عدماً، وأن وجوده سابق لماهيته. ومن خلال اهتمامهم بالوجود الإنسانى فإنهم يتخذونه منطلقاً لكل فكرة، ويحاولون إعادة الاعتبار الكلى له، ومراعاة تفكيره الشخصى وحرية المطلقة وغرائزه ومشاعره، وأن له أن يثبت وجوده كما يشاء، وبأى وجه يريد دون أن يقيد شىء. وأن ينكر كل القيود الدينية والاجتماعية، لأن الدين فى نظرهم محله الضمير، أما الحياة بما فيها فمقودة لإرادة الشخص المطلقة.. ولا يؤمنون بوجود قيم ثابتة توجه سلوك الإنسان وتضبطه إنما لكل إنسان ما يريد وليس لأحد أن يفرض قيماً أو أخلاقاً معينة على الآخرين. لأن الدين والقيم الأخلاقية عوائق أمام البشرية نحو التقدم.

فالجودية لا تتقبل توجيهاً أخلاقياً من الخارج، إنما على الإنسان أن يُسير نفسه بنفسه، ويلبى نداء شهواته وغرائزه دون قيد ولاحدود. يقول الدكتور «بول كلارنس ايرسولد» الأمريكى أستاذ الطبيعة الحيوية (لقد كنت عند بدء دراستى للعلوم شديد الإعجاب بقوة الأساليب العلمية إلى درجة جعلتنى أثق كل الثقة بقدرة العلوم على حل أى مشكلة فى هذا الكون بل على معرفة منشأ الحياة والعقل وإدراك معنى كل شىء، وعندما تزايد علمى ومعرفتى بالأشياء من الذرة إلى الأجرام السماوية ومن الميكروب الدقيق إلى الإنسان تبيّن لى أن هناك كثيراً من الأشياء لم تستطع العلوم حتى اليوم أن تجد لها تفسيراً أو تكشف عن أسرارها النقاب).

إن العلوم لا تستطيع أن تفسر لنا كيف نشأت تلك الذرات الصغيرة المتناهية فى الصغر والكبيرة فى العدد وكيف تجمعت بالصدفة لكى تكوّن الحياة وعندما تحاول العلوم أن تفسر لنا منشأ الكون نجدها تبين لنا فى ضوء ما لدينا من المعلومات عن الطبيعة النووية حيث إن جميع العناصر التى يتألف منها هذا الكون تبدأ بالبروتينات التى لها خواص معينة وقوة جاذبة تجعلها تنضم بعضها إلى بعض، أما كيف نشأت هذه البروتينات ذاتها ولماذا كان لها هذه الصفات بالذات فإن العلم لم يستطع أن يقدم شرحاً واقعياً حول هذا الموضوع ومهما بالغنا فى تحليل الأشياء وردنا إلى أصولها الأولى فلا بد أن نصل فى نهاية المطاف إلى ضرورة وجود قوانين طبيعية تخضع لها ذرات هذا الكون ويعد ذلك دليلاً على وجود الخالق وهو الله. لا يمكن إثبات وجود الله بالطرق المادية وأنه ليس هناك شىء مادى يستطيع أن يخلق نفسه من العدم وإذا أسلمنا بقدرة الكون على خلق نفسه، كأننا نصف الكون بالألوهية، معنى ذلك أن نعترف بوجود إله ولكننا نعتبره إلهاً مادياً وروحياً فى نفس الوقت.

وهذا المنطق لا يستحق أى مناقشة لأن الله عز وجل لا ينتمى إلى عالم الماديات ولا يستطيع حواسنا المحدودة أن تدركه باستخدام العلوم الطبيعية.. يقول الدكتور «كرونين» منذ بضع سنوات

عندما كنت فى لندن نظمت نادياً للشبان ودعوت إليه أحد المشتغلين بعلم الحياة ليلقى محاضرة للأعضاء. وقد اختار هذا الباحث موضوع محاضرتة عن (بداية عالمتنا) وتحدث بأسلوب العالم الملحد وجعل يصف العصور السابقة على مر التاريخ وكيف تحولت الأرض على مر هذه العصور من الغازية إلى السيولة ثم إلى الصلابة وكيف أن الأرض كانت مغمورة فى مياه المحيطات وكيف أن الأمواج تملو وتهبط على القشرة الأرضية وكيف أن القشرة الأرضية قد تكونت نتيجة تفاعلات طبيعية كيميائية، وكيف أن هذا التفاعل مع الزبد قد أدى إلى تكوين سطح الأرض التى نعيش عليها ومن هذه الأرض ظهرت الحياة الأولى على هيئة بروتوبلازم.. وعندما فرغ المتحدث من محاضرتة سفق له الحاضرون تصفيقاً مهذباً، ومع هذا وقف تلميذ، فى صورة عصبية، وسأله لاتؤاخذننى ي سيدى لقد حدثتتا عن الأمواج الهائلة التى كانت تضرب الشواطىء ولكن كيف وُجدت هذه المياه كلها أول الأمر.. وساد صمتٌ كله حرج واحمر وجه الأستاذ المحاضر وقبل أن يجيب بكلمة واحدة أغرق الموجودون فى الضحك.

والحقيقة هى أنه لا يوجد فى كل الأبحاث العلمية (عن الطبيعة والحكمة من وجودها وكذا العمليات المسقدة والمثيرة التى تجرى فيها) أساس واحد سليم لإنكار وجود الله.. بل إن الإنسان ليجد نفسه مضطراً إلى القول بأن هناك عقلاً كبيراً وراء هذا الخلق والحياة وقوانين الطبيعة. يقول الدكتور «جورج دافيز» عالم الطبيعة الأمريكى (لو أن جميع المشتغلين بالعلوم نظروا إلى ما تعطيه العلوم من أدلة على وجود الخالق بنفس روح الأمانة والبعد عن التحيز الذى ينظرون به إلى نتائج بحوثهم ولو أنهم حرروا عقولهم من سلطان التأثر بعواطفهم وانفعالاتهم فأنهم سوف يسلمون دون شك بوجود الله.. فدراسة العلوم بعقل متفتح سوف تقودنا بدون شك إلى إدراك وجود السبب الأول وهو الله.

٣ - أن هذا الكون أبدى ليس لنشأته بداية ولانهاية، أما هذا الرأى الذاهب إلى أن هذا الكون أزلى ليس لنشأته بداية إنما يشترك مع الرأى الذى ينادى بوجود خالق لهذا الكون ولكنه ينسب صفة الأزلية إلى عالم ميت وليس إلى إله حى خالق هذا الكون.. إن أصحاب هذه النظرية يدعون ويؤمنون بالكون المستمر، وأنه موجود ودائم، وقد نشأ عن ذرة نشأت من لا شىء، ثم انفجرت، وتفرعت منها السدم والمجرات التى تشكل منها الكون، وستبقى تلك السدم والمجرات فى تباعد إلى ما لا نهاية.. دون أن يوضح أنصار هذه النظرية من الذى أوجد الذرة الأم التى انفجر منها الكون وتكوّن.. كما أن قوانين الفيزياء تنص على الآتى: أنه لا شىء يخلق من لا شىء، ولا شىء يتلاشى إلى لا شىء، وإنما المادة تتحول من حال الى حال، والكون يجدد نفسه دائماً. ومن قوانين الطاقة «الطاقة لا تفنى ولا تستحدث من عدم».

وهنا تجدر الإشارة والملاحظة إلى ما إذا كان أصحاب هذه النظرية يؤمنون بأن الكون قد نشأ عن ذرة من لا شيء، ما أدرهم إذا ما تحول الكون بعد ملايين من السنين إلى لا شيء، ستنشأ ذرة أخرى من ذلك لتشكّل كوناً جديداً.. هذا السؤال يؤيد نظرية الكون التابض، أى انفجار الذرة الأم لتنشئ كوناً جديداً، بعد أن اكتشف العالمان «نلسن وبنيشيا» صدى الانفجار الكوني الذى أطلق عليه بعد ذلك اسم موجات كالفن. فالأدلة الكونية تقوم على أساس أن الكون متغير وعلى ذلك فإنه لا يمكن أن يكون أبدياً وأن العقل لا يمكن أن يتصور أن هذا النظام قد نشأ من تلقاء نفسه من العدم أو من الفوضى فالإنسان المفكر لابد أن يصل إلى نتيجة منطقية بأن لهذا الكون إلهها منظماً له وإذا كان هناك إله فلا بد أن يكون هناك نظام وعلى ذلك فما دام هناك نظام فلا بد من وجود إله إلا إن الماديين يقولون: إن وجود الله يستدل عليه بشواهد معينة وليس ببراهين قاطعة وهذا من وجهه نظرهم يعنى عدم وجود الله وأن المادة والطاقة يتحول كل منهما إلى الآخر بحيث يمكن أن يكون الكون بذلك أبدياً كما أنهم ينكرون النظام فى الكون ويرونه مجرد وهم.

ومع ذلك لا يستطيعون أن يقيموا دليلاً واحداً على عدم وجود الله ومن منطقيهم أن الأدلة المقدمة لإثبات وجود الله لا تعتبر كافية من وجهة نظرهم. إن قوانين الديناميكا الحرارية تدل على أن مكونات هذا الكون تفقد حرارتها تدريجياً وأنها سائرة حتماً إلى يوم تصير فيه جميع الأجسام تحت الصفر فى درجة الحرارة ويومئذ تنعدم الطاقة وتستحيل الحياة بمضى الوقت وأن الاعتقاد فى أزلية هذا الكون ليس أصعب من الاعتقاد فى وجود إله أزلى ولكن هذا القانون يثبت خطأ هذا الرأى القائل بأزلية الكون فالعلوم أثبتت بكل وضوح أن هذا الكون لا يمكن أن يكون أزلياً فهناك انتقال حرارى مستمر من الأجسام الحارة إلى الأجسام الباردة ومعنى ذلك أن الكون يتجه إلى درجة تتساوى فيها حرارة جميع الأجسام وينضب فيها معين الطاقة الشمسية ويومئذ لن تكون هناك عمليات كيميائية أو طبيعية ولن يكون هناك أثر للحياة نفسها فى هذا الكون بعد فقدان جميع عناصره الإشعاعية. وقد أدرك «إسحاق نيوتن» أن نظام هذا الكون يتجه نحو الانحلال وأنه يقترب من مرحلة تتساوى فيها درجة حرارة سائر مكوناته. ووصل من ذلك إلى أنه لابد أن يكون لهذا الكون بداية كما أنه لا بد أن يكون قد وُضِعَ تبعاً لتصميم معين ونظام مرسوم. فالطبيعة لا تستطيع أن تصمم أو تبدع نفسها لأن كل تحول طبيعى لابد أن يؤدي إلى نوع من أنواع فقدان النظام أو تصدع البناء الهام.

وفى بعض الحالات قد يسير النظام من البسيط إلى المركب ولكن ذلك لا يتم إلا على حساب تصدع أكبر للتنظيم فى مكان آخر. وهكذا توصلت العلوم إلى أن لهذا الكون بداية.. وهى بذلك تثبت وجود الله لأن ما له بداية لا يمكن أن يكون قد بدأ أو أوجد نفسه بنفسه ولا يد له من مبدئ

أو خالق أول وهو الإله. وبما أن العلم أثبت أن لهذا الكون بداية فقد أثبت فوق ذلك أنه بدأ دفعة واحدة منذ نحو خمسة بلايين من السنين والواقع أن الكون لا يزال في عملية انتشار مستمر تبدأ من مركز نشأته، وأنه بنفس الوقت لا يمكن أن يكون أزلياً.

٤ - أن هذا الكون له خالق أزلي متفرد بالوجود.. هذا الوجود الذى نحن جزء منه له خالق مبدع منفرد، إذ لا وجود بلا موجد له، ولكن كيف نستطيع أن نربط أو نؤمن بأن خالق هذا الوجود هو الله.. الله هو الخالق الأزلي، هو موجد الكون، وهو القوة العظيمة، وهو على كل شيء قدير. ولذلك لما قيل لأحد العلماء إن فلاناً أقام ألف دليل على وجود الله قال لأن فى نفسه ألف شبهة.. وهل خفى الله فيستدل عليه.. ومن الكفر أن نسأل أكثر وأكثر، ونلح فى السؤال بجميع أدوات الاستفهام عن الله.. عندما نسير بجوار حديقة مزروعة بالورد الأصفر والأحمر والأبيض ونرى ذلك المنظر الرائع المنسق الذى يموج به نبات ذلك الحقل نسأل أنفسنا ونقول يا له من منظر جميل.. فإننا لا ننكر فى نفس الوقت وجود ذلك الفلاح الذى بذل جهداً كبيراً فى زرع هذا النبات. فكيف إذا نظرنا إلى السماء فى ليلة صافية وشاهدنا تلك النجوم المنتشرة فى هذا الكون الواسع ثم ننكر وجود الخالق والمصمم والمبدع لهذا الكون ونظامه وهو الله سبحانه خالق كل شيء.. قديماً قال أعرابى إذا كانت البعرة تدل على البعير والقدم تدل على المسير.. فسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج وبحار ذات أمواج.. ألا يدل ذلك على وجود اللطيف الخبير.. فاستدل الأعرابى بفطرته ونظره فى ملكوت الله على وجود الله. فإنكار وجود الله لا يمكن أن يتقبله العقل والمنطق.. وهؤلاء أصحاب الفكر المادى لا يؤمنون بأن هناك أشياء كثيرة جداً تتواجد حولنا وتحيط بنا دون أن نتصل بها عن طريق الحواس اتصالاً مباشراً وإنما نؤمن بها عن طريق الاستنتاج. فهم إذا لم يسلّموا بوجود أشياء لا نحس بها ويتصورون أن حواسهم تستطيع أن تكشف كل شيء حولهم.

إن مثلهم هذا كمثل ذلك المدرس الذى يضرب الأمثال لتلاميذه ويقول لهم نحن لا نؤمن بوجود أى شيء حتى نراه وبما أننا لم نشاهد الخالق الذى تؤمنون به فهو غير موجود. فقال له الطالب الصغير ونحن أيضاً لم نشاهد عقلك الذى تفكر به فأنت لاعقل لك. وهنا بُهت هذا المدرس واصطدم بالواقع من فطرة تفكير هذا الطفل الصغير.. فهل هذا الكون خلق بالصدفة.

## نظرية داروين

نظرية «داروين» هى من أكثر النظريات التى تُرست وأحدثت انتشاراً فى الأوساط العلمية وقامت العديد من الكليات والمعاهد العلمية فى العالم الإسلامى بتدريس هذه النظرية على أنها حقيقة

علمية وقد ركزت النظرية على بدء الحياة وتطورها على الأرض وعلى الجنس البشرى.. و خلاصة النظرية تقول: إن الوجود قام بدون خالق، وإن الإنسان تطور من القرد، وإن المخلوقات أوجدت نفسها وطورت وظائفها وأشكالها وبيئاتها بنفسها، وإن بداية الخليقة كانت صدفة وتطورها إلى أشكال وأنماط مختلفة إنما جاء نتيجة لتعاملها مع الظروف البيئية والمناخية والجغرافية المختلفة، وأنه نتيجة لما يتميز به الإنسان المعاصر من عقل وتفكير ومنطق وترجيح فإنه كانت هناك مرحلة بين القرد والإنسان سميت بالحلقة المفقودة، ومعظم البشر الذين يقطنون العالم والذين هم من أصل القرد يتسلسلون بحيث قريبهم لأصلهم الحيوانى حيث إنهم يتدرجون فى ست عشرة مرتبة يأتى الزوج ثم الهنود ثم الماويون ثم العرب فى أسفل السلسلة والأريون فى المرتبة العاشرة.. بينما يمثل الأوروبيون البيض أعلى المراتب (الخامسة والسادسة عشرة)، وبعد المرتبة السادسة عشرة هناك مرحلة أعلى تتميز- وذلك على حسب زعم «داروين»- بتفوقها وإبداعها فى التخطيط والتجارة والصناعة والتسليح وتلك المرحلة تعرف بالجنس الخارق وتلك الصفات تتمثل فى اليهود.. كما أن الأجناس فى أعلى السلسلة البشرية لها القدرة والسيطرة على الأجناس التى أقل منهم.. وكلما كان الفارق كبيراً فى السلسلة البشرية كانت عملية السيطرة أقوى وأسهل.. هكذا كانت أهداف النظرية.. وأعتقد أن الهدف الرئيسى من إشهار تلك النظرية هو إنكار الخالق وإظهار تفوق العنصر الأوروبى.. كما تسببت تلك النظرية فى نظرة التعالى والتكبر للأوروبيون على الأجناس الأخرى وجعلتهم ينسبون مصدر الأمراض والأوبئة مثل الإيدز وفيروسات الكبد الوبائى (C & B) إلى الشعوب الأقل منهم.. كما جعلت النظرية كل ما يأتى من جميع الشعوب والأجناس التى هى فى أسفل السلسلة البشرية عبارة عن أمور متخلفة بعيدة عن التحضر ومدنية فى الفكر والمنطق.

إن النظرية تنفى وجود حياة بعد الموت وتكر مسألة الذنب والمعصية حيث تعتبرهما من الاعتقادات المتخلفة التى صنعها الإنسان القديم لتفسير الظواهر والكوارث الطبيعية وربطها بسلوكه وتصرفاته.

إن النظرية كانت الأساس الذى اعتمد عليه «كارل ماركس» فى إنشاء الفكر الشيوعى المبني على الإلحاد وإنكار الله وأيضاً كانت أساس نظرية «فرويد» الجنسية.

التمييز العنصرى المعروف لدى الدول الأوروبية ضد غيرها من الأجناس مثل السود والزنوج والعرب اعتمد على تلك النظرية.

وقام بعض العلماء بالرد على تلك النظرية من خلال الآتى:

١ - الإنسان لديه صفات يمتاز بها عن القردة والحيوانات الأخرى مثل الكلام والسمع والإحساس والقراءة والكتابة والتأليف والقدرة على الاختراع وإن كانت بعض من تلك الصفات موجودة فى الحيوانات.

٢ - خلايا القروء تحتوى على ثمانية وأربعين كروموزوماً بينما خلايا الإنسان تحتوى على ستة وأربعين فقط ولم يستطع أحد من مؤيدى تلك النظرية توضيح سبب النقص الذى جاء على عكس ما يتوقعونه.

٣ - أن ما يحدث لجميع الكائنات الحية نباتية أو حيوانية أو ميكروبية من نمو وتكاثر لا يمكن تفسيره بالطبيعة أو بالتطور حيث إنها تحتاج إلى حكمة وقدرة فائقة على الخلق والتكوين.

٤ - ليس البقاء للأصلح كما يقول مؤيدو النظرية فكثير من الكائنات تعيش مع بعضها وتتقاسم نفس البيئة والظروف مثل الأميبا والبكتيريا والفطريات والطحالب والبرمائيات والزواحف وأيضاً كثير من الكائنات البدائية تتغذى وتفترس كائنات متقدمة عنها مثل الأميبا التى تلتهم اليرقات والحشرات الصغيرة ولا تنسى تطفل الفطريات على النباتات وقد أثبت العلم الحديث وجود بعض الخصائص والميزات فى كائنات أقل تقدماً من كائنات أخرى فى السلسلة مثل معرفة الليل والنهار ووقوع الزلازل والبراكين.

٥ - اختلاف نمط المعيشة ضمن المجموعات المتشابهة فبعضهم يعتمد على نمط الحياة الاجتماعية مثل النحل والنمل بينما نجد غيرها يعيش نمط الحياة الفردية مثل الزنابير والنمور والفهود.

٦ - كشف مجموعة من العلماء الألمان عن حقيقة ظهور مرض الإيدز حيث ظهر فى أواخر السبعينات فى الشاذين الفرنسيين فى فرنسا حيث فى ذلك الوقت ظهرت تقارير فرنسية تفيد بظهور مرض يصيب الجهاز المناعى فى الإنسان ويجعله غير قادر على مقاومة الأمراض ويؤدى إلى الوفاة وينتقل عن طريق الاتصال الجنسى أو الدم ولم يستطع الأطباء الفرنسيون التعرف على حقيقة المرض بينما كانت تتزايد الحالات بين الشواذ من الفرنسيين وهرعت الهيئات الفرنسية المؤيدة للشواذ بالضغط على الحكومة الفرنسية لاحتواء المرض الذى يهدد الحياة الغربية فاتخذت الحكومة الفرنسية إجراءات منها إحاطة هذه الحالات بالسرية التامة وعدم السماح بالحديث عنها حتى فى المؤتمرات الطبية إلا بإذن مباشر من الحكومة ولم يستمر هذا الكتمان حتى أصاب هذا المرض مجموعة من الفنانين الأمريكيين المعروفين بشذوذهم الجنسى وعندما انتشر هذا المرض فى أمريكا عقدت الحكومة الفرنسية مع الأمريكية لقاءات متعددة وقرروا فيها ألا تقوم أى جهة فرنسية أو أمريكية بإرجاع ظهور المرض إلى أمريكا أو فرنسا أو أوروبا.

٧ - فى بداية القرن العشرين أثناء احتلال هولندا لإندونيسيا اكتشف عالم هولندى أثناء قيامه بعملية حفر فى منطقة جاوة بإندونيسيا آثار جمجمة تشبه الجماجم البشرية وتختلف

عن جماجم القرد ولكن تتميز تلك الجمجمة بكبر حجمها عن الحجم الطبيعي لجمجمة الإنسان العصرى وكان هذا الاكتشاف بمثابة النصر لدعاة التطور حيث تسارع العلماء الداروينيون إلى الجزم بأن إنسان جاوة يمثل الحلقة المفقودة أو إحدى سلالاتها وعند إجراء عملية تقدير عمر تلك الجمجمة وُجد أنها من حوالى مليونى سنة.. ثم توالت الاكتشافات بعد ذلك فتم العثور على إنسان مدغشقر الذى قُدر عمره بثلاثين ألف سنة ثم إنسان أفريقيا الذى قُدر عمره بحوالى عشرين ألف سنة وإنسان جبال الألب الذى قدر عمره بحوالى ستة آلاف سنة. ولكن مع تطور التقدم فى علوم البيولوجيا الجزيئية قام علماء من جامعة أكسفورد ببريطانيا بمعرفة عدد الكروموزومات ونوعية المادة التى كانت تنتجها خلايا هذه المخلوقات لعمل الدم وقد كانت دهشتهم شديدة عندما وجدوا أن جميع هذه المخلوقات كانت لديها ستة وأربعون كروموزوماً وأنها تنتج نفس المادة لعمل مادة الدم من نفس الجينات وبنفس الترتيب وقد اندهش العلماء من ذلك الاكتشاف لدرجة أنه تم أخذ عينات من زملائهم وتم تحليلها فوجدوا أن تركيبة المادة وخصائصها واحدة وهذا إن دل فإنما يدل على أنه لا يوجد فرق بين إنسان جاوة وإنسان مدغشقر وإنسان أفريقيا وإنسان جبال الألب والإنسان الحالى الذى يعيش فى هذا العصر وأن الفارق الوحيد هو تفاوت فى الحجم. هذا الاكتشاف كان مصيبةً وصدمةً كبيرةً على أنصار النظرية الدارونية.. أذاع العالم الذرى البروفسور «راجوهانس هورذلر» فى سويسرا بياناً قال فيه لا يوجد دليل واحد من ألف على أن الإنسان من سلالة القرد بل إن التجارب قد دلت على أن الإنسان منذ عشرة ملايين عام يعيش بعيداً عن القرد، وقدم للمتحف الطبيعى بمدينة بال قطعة من فك إنسان يرجع تاريخها إلى عشرة ملايين عام ويتاريخ ٣١-٣-١٩٥٦م أعلن العالم الأمريكى «ويتير» المشرف على الأبحاث بجامعة كولومبيا أنه مؤيد لنظرية «هورذلر» وقال إن نظرية «داروين» لا تستند إلى دليل علمى.

لقد حثنا القرآن الكريم على التأمل والتفكير والتدبر فى خلق الله وشرحت آيات كثيرة طريقة التكوين للبشر ولبقيّة المخلوقات ولذا قامت بعض المؤسسات الغربية بمنع تدريس النظرية فى المدارس والمعاهد بالإضافة إلى ذلك قام العديد من العلماء بنقد النظرية تماماً وتوضيح أنها من أكبر السخافات البشرية فى القرنين الماضى والحاضر.

من هو داروين: هو تشارلز داروين ولد فى عام ١٨٠٩م فى مدينة «شروزبرى» فى بريطانيا كان والده طبيباً وجده عالماً فى الطبيعة، ذهب إلى أندرة فى «أستكلندا» لدراسة الطب ولكنه لم ينجح وكره دراسته ثم انتقل إلى «كامبردج» حيث درس العلوم الدينية فى كلية المسيح فى سنة ١٨٢٨م.. وكان يبدى ميولاً لتجميع الحشرات والنباتات والحفريات وقراءة كتب الطبيعة

والجيولوجيا.. تم ترشيحه وإرساله كعالم طبيعة على سفينة «البيقل» المخصصة للاكتشافات عام ١٨٣١م حيث قضى خمس سنوات فى الرحلة زار خلالها العديد من الأماكن والجزر فى نصف الكرة الجنوبي.. تزوج عام ١٨٣٩م وأنجب ثمانية من الأبناء.. توفي عام ١٨٨٢م بعد معاناة.. طويلة مع المرض.

□□□